الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

شعبة علم الاجتماع

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع مدن و تنمية

إعادة تأهيل العمارات الكولونيالية بوسط مستغانم بين المتمثل و المعاش

إعداد الطالب :

العماري محمد

إشراف :

د . طيب إبراهيم علي

لجنة المناقشة :

- د . زرهوني فايزة ..... رئيسة
- د . طالبي توفيق ..... مناقشا
- د . طيب إبراهيم علي ..... مشرفا

جامعة مستغانم
شعبة علم الاجتماع
كلية العلوم الاجتماعية

السنة الجامعية : 2017- 2018

أهدي هذا العمل إلى :

- أمي المتوفية رحمها الله و أسكنها فسيح جنانه ...

- أخي الصغير معمر و الذي بدونه لا معنى لحياتي ...

- رفيقة دربي و خطيبتي فاطمة الزهراء ...

كلمة شكر و تقدير

أتقدم بالشكر و الامتنان لمشرفي الأستاذ الدكتور طيب براهيم علي على وقوفه معي و صبره مساعدته لي في إتمام هذه مذكرة ، و كما أتقدم بالشكر و الامتنان لكل من رئيس لجنة المناقشة الأستاذة زرهوني فايزة و الأستاذ طالبي توفيق المناقش ، فلهما مني كل الاحترام و التقدير ، وكما لا أنسى تقديم تشكري للعائلة الكريمة و جميع الأصدقاء و كل من شارك في عمل هذه المذكرة .

فهرس المحتويات

إهداء

شكر و تقدير

فهرس المحتويات

مقدمة 01

الفصل التمهيدي : جانب نظري 03

الإشكالية 04

الفرضيات.....05

أسباب اختيار الموضوع 06

حدود الدراسة الميدانية و منهجها 06

تعاريف لمصطلحات الدراسة.....08

دراسات سابقة.....11

الفصل الأول : المدينة و العمارة كمجال للدراسة 13

مدرسة شيكاغو و المدينة 14

الفضاء المعاش و تمثلاته الاجتماعية.....19

الخصائص الاجتماعية للبيئة السكنية و علاقتها بخصائص السكان.....21

آثر الكولونيالية في مدن المغرب العربي و الجزائر 24

السَكن وعلاقته بالموروث العمراني و الخيارات الثقافية.....30

أنواع المساكن الكولونيالية المنجزة في الجزائر.....40

الفصل الثاني : علاقة الكولونيالي بالهوية المعمارية : حوار بين السكان و العمارة بمركز المدينة 42

المدينة الجزائرية و إشكالية الهوية.....43

التعريف بمدينة مستغانم 48

تقديم مجتمع البحث (وسط المدينة).....50

تجديد العمارات الكولونيالية : ترميم أم إعادة تأهيل ؟.....52

علاقة الساكنة بالعمارات الكولونيالية 56

تصورات المارة عن العمارات الكولونيالية.....60

خاتمة 62

الملاحق.....64

قائمة المراجع و المصادر.....66

مقدمة :

الإنسان اجتماعي بطبعه[1] ، فهو يحمل في أعماقه سمات التجمع ، و الحياة الجماعية فهي ضرورة بالنسبة له ، حيث من عيشه في الكهوف و البراري ، لجأ للبحث عن مكان أو مأوى يحس فيه بالأمان و الطمأنينة ، فبدأ يتفنن في صنع المنازل ، و القلاع ، و القصور و غيرها . و أنشأ بعدها المدينة التي تعتبر الآن بؤرة هامة للتفكير و العمل لأنها حاوية لجزء كبير من حركة المجتمع و الناس و تفاعلاتهم و علاقتهم من جهة ، و من جهة أخرى على جزء هام من الصراعات و الأزمات ، إذ أصبح الحديث عنها مرتبط بالحديث عن الإنسان أن كل ما يحدث لها من تغيرات في الهندسة و الشكل و عدد العمران ينعكس بشكل واضح على الإنسان و على ثقافته وعاداته و تقاليده و علاقاته .

و قد عرفت المدن الجزائرية تحولات اجتماعية و ثقافية مند فجر الاستقلال ، و كان للاستعمار دور كبير في ذلك خاصة في مجال المعمار ، فالعمارات الكولونيالية التي تركها المحتل وراءه كانت هدفا للجزائريين الذين عاشوا الفقر و الاضطهاد ، و خاصة إبان الاستقلال ، بحيث أن الريف لم يكن يتوفر على المرافق الضرورية آنذاك . فأدى هذا النزوح الريفي للمدن إلى تشبع سريع للمساكن .

و باعتبار أن السكن ضرورة ملحة ، حيث هذا التغير في كل شيء جعل الإنسان بدلا أن يبحث عن مأوى أصبح يبحث عن مسكن يجد فيه نفسه في حرية مطلقة يرى فيه أسرته بصفة دائمة ، و بهذا جاءت دراستنا الموسومة بـ " إعادة تأهيل العمارات الكولونيالية بوسط مستغانم بين المتمثل و المعاش " للبحث عن ماهية العمارات الكولونيالية بوسط مدينة مستغانم ، و التي جذبتنا إليها عملية إعادة التأهيل و أيضا محاولة معرفة كيف يتعايش معها السكان و يتمثلونها ؟.

تشتمل هذه الدراسة على ثلاثة فصول إضافة إلى المقدمة و الخاتمة التي كانت عبارة عن مجموعة من النتائج المتوصل إليها .

---

[1] مقولة شهيرة لأبن خلدون .

- طرحنا في الفصل التمهيدي إشكالية هذه الدراسة ، إضافة إلى التساؤلات و الفرضيات و أسباب اختيار الموضوع ، و حدود الدراسة الميدانية و منهجها ، و أيضا بعض التعاريف المهمة ، و أخيرا الدراسات السابقة المتعلقة بموضوعنا .

- الفصل الأول عنوناه بـ" المدينة و العمارة كمجال للدراسة " ، حيث قمنا بالتكلم على مدرسة شيكاغو و علاقتها بالمدينة ، و تعريف الفضاء المعاش و تمثلاته الاجتماعية ، كما تناولنا الخصائص الاجتماعية للبيئة السكنية و علاقتها بخصائص السكان ، و الآثار الكولونيالية في مدن المغرب العربي و الجزائر ، كما لم ننسى السكن و علاقته بالموروث العمراني و الخيارات الثقافية ، و في الأخير ذكرنا أنواع المساكن الكولونيالية المنجزة في الجزائر .

- أما الفصل الثاني فكان موسوما بـ " علاقة الكولونيالي بالهوية المعمارية : حوار بين السكان و العمارة بمركز المدينة " ، حيث عالجنا فيه المدينة الجزائرية و إشكالية الهوية و قمنا بتعريف مدينة مستغانم و تقديم مجتمع البحث (وسط المدينة) ، كما تكلمنا عن عملية تأهيل العمارات الكولونيالية و علاقة الساكنة بها ، و تمثلات المارة لها .

الفصل التمهيدي : الجانب النظري

1- الإشكالية

2- الفرضيات

3- أسباب اختيار الموضوع

4- حدود الدراسة الميدانية و منهجها

5- تعاريف لمصطلحات الدراسة

6- دراسات سابقة

الإشكالية :

كان لدخول الاستعمار الفرنسي للبلدان العربية و المغاربية أثرا كبيرا على الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية كما كان له في الجانب العمراني. و هذا لم يكن بنفس الحَدة و الشكل ، بل كان متباينا من بلد لآخر حسب أشكال التواجد الأوروبي فيه (حماية – انتداب – استعمار) ، و هذا كان عاملا مهما في اختلاف درجة التأثير الكولونيالية على المناطق الحضرية في البلدان . " فيجمع المشتغلون في هذا الحقل أن الدخول الاستعماري كان بداية دخول المدينة الغربية بكل ما تحتويه من أشكال عمرانية " [2] ، و برحيل المستعمر سمح للمجتمع الريفي الذي عاش طويلا تحت القهر و الحرمان أن يطالب بحقَه في المدينة التي كانت تحت حكم المستعمر ، رمز الحياة المريحة ، " و كان ذلك في نظر المجتمع الريفي يعني احتلال مسكن عصري داخل أحد عمارات المدينة ، و الحصول على عمل في مصنع أو متجر أو إدارة ، لقطع كل علاقة بالماضي الثقيل بمساوئ عدم المساواة و الاضطهاد الاستعماري ، خاصة و أن الثورة التحريرية طرحت شعارات أساسية كالعدل و المساواة و الحق في العيش الكريم " [3] ، فظهرت بذلك صور اكتساب النمط المعيشي المدني ، باعتبار أن القادمين الجدد هم من يعطي للمدينة الصورة التي تتوافق مع قيمهم و ذهنياتهم عن طريق ممارسات تعكس هذه الأخيرة ، و هذا ما يسمَيه LEFEBVRE . H الحق في المدينة ، إذ أن الإنسان يحتاج و دائما يبحث عن نمط حياة أفضل .

و مع مرور الوقت بعد الاستقلال أصبحت العمارات الكولونيالية جزء من المدينة الجزائرية ، لها ساكنة تتمثلها و تمارسها .

دفعنا مشروع إعادة تأهيل العمارات القديمة ، لنسلط الضوء عليها و شجعنا للقيام بدراستنا هذه ، و الموسومة بـ: " إعادة تأهيل العمارات الكولونيالية بوسط مستغانم بين المتمثل و المعاش " .حيث حاولنا البحث حول أساليب التملك و طريقة حياة قاطني العمارات

[2] دحمان خديجة : العمارة الكولونيالية في الجزائر بين التغير و التكيَف ، رسالة ماستر ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم ، الجزائر ، 2013 ، ص 3 .

[3] محمد الهاوي عروق : مدينة قسنطينة : دراسة في جغرافية العمران ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 ، د/ط ، ص 103

الكولونيالية الواقعة في وسط مدينة مستغانم ، و مكانة هذه العمارات داخل المدينة . و أيضا معرفة العلاقة بين العمارات و السكَان و تمثلات المارَة لها ، و الذين يصنفهم علي سالم شواورة في كتابه " جغرافية المدن " إلى ثلاثة أصناف :

1- أفراد لهم ارتباط بمؤسسات المدينة الإدارية كالمباني و المدارس و الكلَيات و غيرها .

2- مجموعة الذين يعملون بأجر يومي من عمال و غيرهم .

3- المجموعة المتجوَلة من المارة و المتسوقين و رواد المسارح .

و" قد أشار M.WEBER إلى أنه يمكن إحصاء الفئتين الثانية و الثالثة بسهولة " [1] ، حيث أنهم لا يسكنون المدينة بحيث تختلف تمثلاتهم لها ، و للعمارات الكولونيالية . لكن نلاحظ أن هذا التصنيف يخص المدينة الغربية ، حيث في مدينة مستغانم لا نجد فئة رواد المسارح .

و تختلف تمثلات الساكنة للمدينة ، حيث يرى R.LEDRUT أن المدينة معاش فردي و كل فرد يراها من منظوره الخاص ، انطلاقا من دراسته للواقع الفرنسي من خلال بحثه الذي أجراه سنة 1973 في مدينتي " تولوز و بو " [2] ، و في هذا البحث حاولنا معرفة تصوَرات الأفراد للمدينة من خلال العمارات الكولونيالية و عملية إعادة تأهيلها .

و قد طرحنا الأسئلة التالية :

- هل العمارات الكولونيالية فضاء متمثل و معاش في نفس الوقت من طرف ساكنيه ؟

- كيف تساهم عمارات مركز المدينة في التأسيس للمركز التاريخي لمستغانم ؟ و هل تجديدها يؤثر في صورة المدينة ؟

الفرضيات :

[1] علي سالم شواورة : جغرافية المدن ، دار الميسرة للنشر و التوزيع ، عمان ، 2002 ، ط1 ، ص 120 .

[2] محاضرات مقياس سوسيولوجية المدينة ، ماستر 1 علم الاجتماع الحضري ، للمزيد أنظر مرجع Raymond Ledrut, Les images de la ville. Paris, Ed. Anthropos, 1973

لدراسة موضوع " إعادة تأهيل العمارات الكولونيالية بوسط مستغانم بين المتمثل و المعاش " تمَت صياغة الفرضيات التالية :

- ترميم العمارات الكولونيالية عملية تؤثر على قاطنيها وعلى مرتادي مركز المدينة .

- المساكن في العمارات الكولونيالية معاشة بطريقة تقليدية و غير متمثلة من طرف ساكنيها.

- إعادة تأهيل عمارات مركز المدينة يعيد لها دورها كجزء من المعالم التي تصنع صورة مستغانم .

أسباب اختيار الموضوع :

إن اختيارنا لموضوع " إعادة تأهيل العمارات الكولونيالية بوسط مستغانم بين المتمثل و المعاش " كموضوع لمذكرة الماستر ، ينبثق من أهمية التراث الكولونيالي الذي تركه المستعمر ورائه ، و نخص بالذكر العمارات المتواجدة وسط المدينة التي كانت جمادا بدون حياة إلى غاية الشروع في إعادة تأهيلها ، حيث استعادت روحها كمكون عمراني و إسترجعت قيمتها الجمالية . خاصة و أنها قديمة و أغلبها يقارب القرن من الوجود .

و أيضا أردنا معرفة كيف يتمثلها ساكنوها و يعيشونها ، و المارة الذين يلاحظونها يوميا شامخة وسط المدينة ، ما هي تصوَراتهم عنها ؟ . إضافة إلى محاولة معرفة ماهية هذه العمارات الكولونيالية بنسبة لمدينة مستغانم .

كل هذا دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع ، و حرك فينا الفضول العلمي و محاولة منا إلقاء الضوء على هذه العمارات الكولونيالية بوسط مدينة مستغانم .

حدود الدراسة الميدانية و منهجها :

تمت هذه الدراسة في حي " غبريني أبا " الواقع في وسط المدينة ، و الذي يحوي مجموعة من العمارات الكولونياية التي هي في طور إعادة تأهيل ، و نعتبرها أساس هذه الدراسة و

تمت المعاينة الميدانية في فترة عطلة الربيع و بعدها ، أي شهري مارس و أفريل من سنة 2018 .

و يمكننا القول أن هذه الدراسة اعتمدت طريقة دراسة الحالة (Étude de cas) ، بحيث أن مجموعة المبحوثين الذين شكلوا مجتمع البحث هم عينة من مجموع سكان مدينة مستغانم

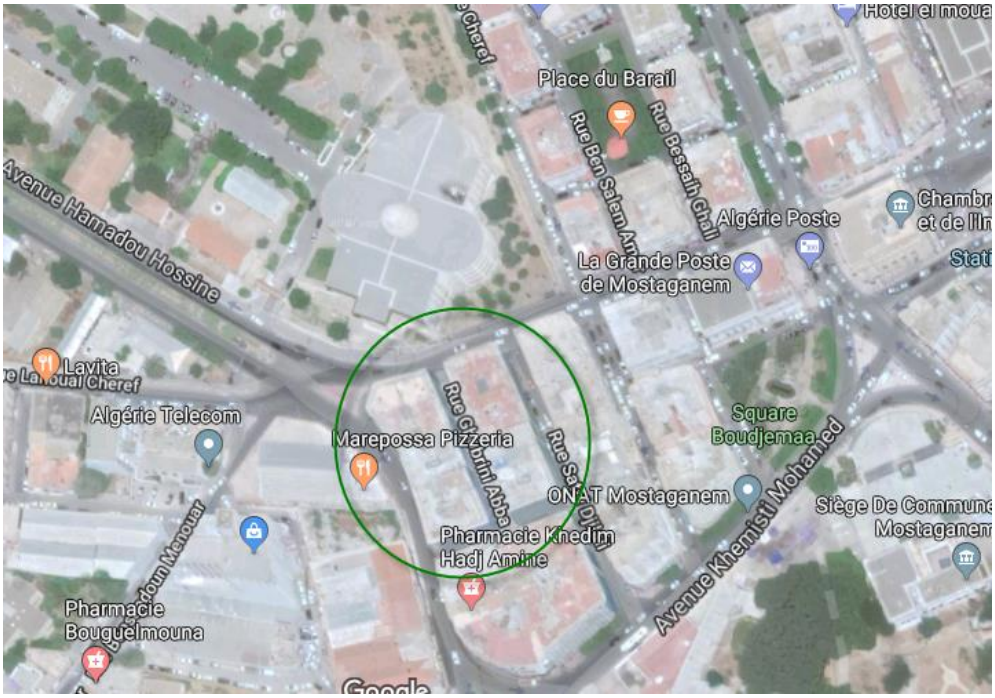

(1) صورة توضح المجال المكاني لميدان الدراسة (الحلقة الخضراء)

المصدر : google maps

(في وسط المدينة تحديدا) من مجموع الساكنة المستغانمية بالعمارات ذات النمط الفرنسي و المارة . بحيث في هذا الصدد يرى ' أحمد بوذراع ' في مقالته " منهج دراسة الحالة في العلوم الاجتماعية و الإنسانية " [1] أن منهج دراسة الحالة يمكن أن يكون دراسة يقوم بها الباحث لمجتمع صغير " كمجتمع الفردية أو المدنية الصغيرة ... و المتعلقة بوصف أو

[1] أحمد بوذراع : منهج دراسة الحالة في العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، مجلة الإحياء ، العدد 4 ، الجزائر ، 2001 .

تحليل الحياة أو العلاقات الاجتماعية . كدراسة ' جامد عمار ' المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية في قرية مصرية و دراسة ' محمد عاطف غيث ' بعنوان القرية المتغيرة "[1] .

و بغرض جمع المعلومات في المعاينة الميدانية ، وظفنا تقنية المقابلة شبة الموجهة ، حيث تمَ إجراء 16 مقابلة مع أفراد العينة المقسمين بالتساوي بين سكان العمارات الكولونيالية (المذكورة سلفا)، و بين المارة الذين بعضهم تم إجراء المقابلة معه في الميدان و الآخرون تمت في أماكن مختلفة كأماكن عملهم و في مساكنهم نظرا لصعوبة التقرب من أفراد العينة في ميدان الدراسة (الشوارع المحيطة بالعمارات) ، و طبعا كل أفراد العينة تم إجراء المقابلة معهم بعد موافقتهم على المساهمة في هذه الدراسة . وقد صيغت أسئلة المقابلة بعد موافقة الأستاذ المشرف ، بطريقة تغطي مجمل المحاور الرئيسية للموضوع بغية الإجابة عن القضايا الأساسية في الدراسة .

كما قمنا أيضا بتوظيف تقنية الملاحظة و التقاط الصور من أجل تعزيز المعلومات .

تعاريف لمصطلحات الدراسة :

العمارة :

لغة : هي مصدر من فعل عمَر المسكن أي جعله أهلا للسكن . [3]

اصطلاحا : هي نموذج من العمران توفر عادة على تقنيات عالية في مجال الإنشاءات و التجهيزات العصرية المختلفة (الصحة ، الكهرباء ، ...) ، " و يتيح استخدام الأرض بأسلوب عقلاني دقيق من حيث الاقتصاد في تكاليف العقار و استقطاب كثافة سكانية عالية " [2] ، وهي عبارة عن سكن جماعي يضم مجموعة مساكن التي تكون مركزا أوليا للحياة الاجتماعية ، و هي تجمَع مكثف تكون فيه البنايات ملتصقة ببعضها البعض .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 286 .

[3] سليماني جميلة : دراسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي ، دار الهومة ، الجزائر ، د/ط ، 2011 ، ص48 .

[2] المرجع نفسه ، ص 49 .

التعريف الإجرائي : السكن العمودي عبارة عن مجموعة من الشقق تحمل بعض الصيغ و الوظائف ، تكون على شكل طوابق (عموديا) ، تضم مجموعة من الأسر .

المسكن :

لغة : من السكن و السكون ، فالسكون أي ثبوت الشيء بعد تحركه ويستعمل في الاستيطان فنقول نذهب إلى سكن فلان أو مكان سكن فلان أي المكان الذي استوطنه فلان . إذا انطلقنا من الجذر اللغوي للكلمة (س.ك.ن) وجدنا المشتقات الفعلية والاسمية منه تحيل على أربعة معان رئيسة : المنزل بمعناه المادي المباشر ، السكن و المسكن (بفتح الكاف أو كسرها)، المنزل و البيت . ففعل السكن أي الإقامة بالمكان المعدّ للسكنى ، فسكن بالمكان يسكن سكنى (بضمّ السّين) و سكونا [1] : أقام الإنسان الّذي يسكن : فالسكن (بتسكين الكاف) أهل الدار، اسم لجمع ساكن كشارب وشرب الهدوء و السكينة :"سكن الشيء يسكن سكونا إذ ذهبت حركته"، و يضيف صاحب اللّسان " والسكن : كلّ ما سكنت إليه واطمأننت به من أهل و غيره ، و ربّما قالت العرب السكن لما يسكن إليه "، و منه قوله تعالى : " **وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا** " (الأنعام 96) ، استكن و تمسكن و استكان ، أي خضع وذلّ .

و عرف المسكن من الناحية اللغوية أيضا على أنه السكون أي ثبوت الشيء بعد تحركه ويستعمل في الاستيطان فنقول نذهب إلى سكن فلان أو مكان سكن فلان أي المكان الذي استوطنه فلان ، والسكن هو الإيواء والانتفاع .

و كلمة " الدار " المرادفة للسكن و المستخدمة على نطاق واسع رغم مطابقتها لنمط من السكن هو هذا الّذي نجده في المدن التاريخية العتيقة ، ذات محتويات انفعالية و قيمية أحكم المجتمع شحنها كما تشف عن ذلك عدّة مأثورات شفوية مثل" الدار قبر الحياة " ، حيث لا يبدو تمثيل السكن بالقبر نوعا من الاستعارة قائمة على مقتضيات البلاغة ، و إنّما يعكس صلة أنثروبولوجية عميقة بينهما تتردّد العديد من صورها ضمن تخيّلات الراحة و الحميمية

[1] ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، المجلد الثالث عشر ، د/ت ، ص 212 . أنظر: شيخ احمد رضا : معجم فن اللغة ، مجلد 2 ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1959 ، ص 57 .

، فكلاهما مستقرّ و عود بعد هجرة و تغرّب : القبر رجوع إلى أحشاء الأرض، والمنزل نزول و عود إلى نقطة الثبات في رحلة التقلّب و الاضطراب داخل الحياة . و بهذا فالوجه المعماري للسكن لا يمثّل سوى الجزء الظاهر من ممارسة السكن في أبعادها المادية و الوظيفية و الرمزية منظورا إليها كوحدة تخضع ، حتّى في أشدّ عناصرها بساطة و بداهة ، إلى نظام رمزي يعطي لها معنى ، لذا " فالسلوك نفسه رمز "ما دام ينطوي على حدّ أدنى من التمثّل الصامت ، و " السكن في سياق المجتمع التقليدي هو حقل من السلوكات الرمزية

التي تنشأ و تتوالد في بناء متنام متواز مع بناء المنزل منذ لحظة التأسيس " [2] .

و المسكن هو المنزل الذي تسوده العلاقات الإنسانية والذي يكفل تماسك الأسرة ورقيها وفيه يبلور كل فرد منها ذاته وكيانه الاجتماعي ويحمي حياته الخاصة بشكل عادي ، وبذلك هو من أهم حاجيات حياة الفرد والأسرة وشكل من أشكال ثقافتها المادية .

التعريف الإجرائي : هو ذلك الإنشاء الهندسي المصمم بطريقة فنية وجمالية راقية ، فهو بذلك وعاء فيزيائي وضع لتنتظم تحت سقفه الآسرة بكل ما تحمله من خصوصية عادات وتقاليد فيصبغ بالطابع الإنساني ليصبح مكانا حيا يعبر عن معنى الحياة فيه بلغة بصرية ، ويشترط أن يكون ملائما للسكن الآدمي بحيث يؤدي وظائف متنوعة و راقية يستجيب فيه لحاجات ومتطلبات مستعمليه فهو باختصار مأوى مصمم لحماية الأسرة وتلبية حاجاتها المختلفة ويعكس الصورة الحقيقية لشخصيتها وكل ما تحمله من مبادئ .

و في الدراسات السوسيولوجية ، فتحرص على تأكيد هذا التعريف بما هو موجود فعلا و واقعا . والجدير بالذكر هو الاختلاف الواضح الذي يميز هذه المفاهيم من منظر إلى آخر كل حسب توجهه العلمي . نجد في هدا الإطار بيار جورج (Pierre George) يرى بأن المسكن هو عنصر أساسي للارتباط بين الفرد و الأسرة والوسط الاجتماعي وهو يضم

نموذج من الإنسانية ، كما انه اعتبر المسكن على انه مكان يوفر الراحة والوظائف المهمة فهو نمط تنظيمي لحياة الناس في الوسط الذي يعيش فيه الإنسان [1]. كما هناك من يعرفه على

[2] Sapir, Edward,Anthropologie, Traduit par Chr. Baudelot et P. Clinquart, Paris, Editions de Minuit , P 65 .

أساس أنه المكان الذي يقيم فيه الأفراد تربط بينهم روابط الحب والتعاطف وهو المكان الذي تنبع فيه علاقة المحبة بين الأبوين وبين كل فرد من الآسرة والتي يسعد بهما الأطفال والكبار وهو المكان الذي تتم فيه استضافة الأهل والأصدقاء ، وهو المكان الذي ينعم فيه الفرد بالراحة والخصوصية ويشعر فيه بالأمان ، وهو المكان الذي يحفظ فيه الثقافات الأساسية ومكونات العادات والتقاليد [2] ، وقد اهتم باشلار (G.Bachelard) ضمن إطار تحليلي وظائفي ، فالمسكن هو خلق مساحة يومية وإحاطة سلسلة واسعة من العلاقات والمشاهد العائلية في نسق اجتماعي ، حيث يعيش الساكن علاقات حب وكراهية اتجاه مسكنه ومن يحيط به المرتبط بهوية صاحبه . و باشلار تعرض إلى المسكن حيث اعتبره شيئا حيا له خصوصية وصفات هندسية تصمم ملامح الألفة ومسكن الطفولة ومركز تكييف الخيال ، حيث أن هذا المسكن هو لغة الحياة الحية وأدوات حياتها اليومية والنفسية التي بدونها تفقد الألفة في الحياة . [1]

الشقة :

لغة : نقول شَقّة (فتح الشين) أو شِقّة (كسر الشين) و هي تعني جزء مستقل من البيت تنفرد جماعة بسكناه ، مسكن يتألّف من عدّة غرف ضمن بنايةٍ فيها عدد من المساكن [2].

اصطلاحا : " هي وحدة سكنية تقع ضمن مجمع سكني متعدد الطوابق ويتألف كل دور من أدوار المبنى السكني من شقة أو أكثر، تكون الشقق السكنية مؤجرة لساكنيها أو مملوكة لهم دون أن تمتد الملكية إلى الأرض التي أقيم عليه المبنى " [3] . و هي تحتوي على غرفة أو أكثر كمكان للمعيشة ، و عادة ما يكون بها منافع مثل المطبخ و الحمام و أماكن النوم و المعيشة .

---

[1] احمد صبور : المعرفة و السلطة في المجتمع العربي ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1959 ، ص 59 .

[2] سلوى محمد سعيد :الإسكان 'المسكن'البيئة ، دار الشروق ، جدة ، السعودية ، 1986 ص 16-17 .

[1] غاستون باشلار : جماليات المكان ، ترجمة غالب هالسا ، دار المجد ، بيروت ، د/ط ، 1987 ، ص 42 .

[2] معجم المعاني الجامع ، معنى كلمة الشقة ، https://www.almaany.com/ar/dict/arar/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%82%D8%A9/

[3] موقع الويكيبيديا ، معنى كلمة الشقة ، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D9%82%D8%A9

دراسات سابقة :

1- دراسة رانية محمد علي طه (2010) :

أجريت هذه الدراسة على البلدة القديمة في مدينة نابلس الفلسطينية و الموسومة بـ " التأثير المتبادل بين الواقع العمراني للمساكن والهوية الثقافية الاجتماعية للسكان حالة دراسية : البلدة القديمة بنابلس " [4] ، حيث أرادت الباحثة فهم المشكلة في السكن التقليدي في المدن القديمة . و توصلت إلى أن البيئة السكنية الحالية في مراكز المدن القديمة فقدت المعاني الثقافية الحية التي تربط ما بين هويتها الثقافية الاجتماعية الخاصة والخصائص المعمارية لمبانيها ومساكنها ، وأن واقع حالها يؤثر على سكانها و على خصائص الحياة المختلفة لهم ، مع احتفاظها أحيانا ببعض الملامح الأصيلة ، التي ما زالت تحيي بقايا السمات الاجتماعية العربية الإسلامية العريقة في تاريخها ، تأكيدا لانطباق فرضية التأثير المتبادل بين البيئة العمرانية الفيزيائية والخصائص الاجتماعية والسلوكية للسكان ، و إن استمرارية حالها هذا سيمحو شواهدها الحضارية سواء في التعبير عن الهوية الوطنية الخاصة أو التأثير على مدى الانتماء الثقافي لها.

وترى أن النهوض بمستوى الوظيفة السكنية داخل المدينة التاريخية من أهم العوامل ليس فقط لاستمرارها فاعلة حية ، ولكن لإعادة الحياة لمنظومة القيم المرتبطة بموروثنا الثقافي و هويتنا الوطنية ، وأن العمل على تطبيق البرامج المختلفة تُعنى بسكان البلدات القديمة و تدعمهم و ترتقي بوعيهم و ظروف معيشتهم و تقوي انتمائهم ، يساهم في وقف التدهور في شواهد المدينة التاريخية التي تدل على عراقة جذور السكان وحضارتهم بل وحقوقهم التاريخية في هذه الأرض .

2- دراسة دحمان خديجة (2012) :

[4] رانية محمد علي طه : التأثير المتبادل بين الواقع العمراني للمساكن والهوية الثقافية الاجتماعية للسكان حالة دراسية : البلدة القديمة بنابلس ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 2010 .

" المسكن الكولونيالي في الجزائر بين التغير و التكيف " [1] ، و هي دراسة أجريت في حي سيدي البشير في ولاية وهران على مجموعة من المساكن الكولونيالية و ساكنيها ، و خلصت إلى أن المساكن الكولونيالية المدروسة تستغل من طرف ساكنيها بطريقة تقليدية ، و أن التغييرات التي حدثت فيها بسبب كبر حجم العائلة و ضيق المسكن الكولونيالي . و لكن الباحثة لم تتكلم عن كيفية تمثلها تمثلها من طرف السكان بصفة عامة سواء ساكنوها أو لا ، و هذا الطي بد لنا مهما و ركزنا عليه في دراستنا هذه .

[1] دحمان خديجة : المسكن الكولونيالي في الجزائر بين التغير و التكيف ، رسالة ماستر ، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ، الجزائر ، 2012 .

الفصل الأول : المدينة و العمارة كمجال للدراسة

1 - مدرسة شيكاغو و المدينة

2- الفضاء المعاش و تمثلاته الاجتماعية

3- الخصائص الاجتماعية للبيئة السكنية و علاقتها بخصائص السكان

4- آثر الكولونيالية في مدن المغرب العربي و الجزائر

5- السَكن وعلاقته بالموروث العمراني و الخيارات الثقافية

6- أنواع المساكن الكولونيالية المنجزة في الجزائر

مدرسة شيكاغو و المدينة :

انطلق علماء مدرسة شيكاغو باعتبارهم مؤسسي الأنثروبولوجيا المدينية و علم الاجتماع الحضري من دراسة المجموعات المختلفة التي تكون فسيفساء المدينة [1] ، كالأقليات الدينية والإثنية ، أو مجموعات الزمر، و المهمَشين ، ولعل من أوائل الذين تناولوا قضية المدينة بوصفها كيانا اجتماعيا (لويس ويرث)[2] ، ومن خلال مقولته المشهورة " التحضر ما هو إلا أسلوب في الحياة " [3] ، وقد شكلت سير الحياة الأداة الأكثر استعمالا في البحوث الميدانية كونها تسمح بمتابعة المسيرات الفردية من خلال مناطق وفئات اجتماعية .

كانت الفكرة السائدة وفق ويرث توقف القرابة في المدينة عن لعب دور في العلاقات الاجتماعية ، كما ازداد توضيح الفوارق بين الريفي والمدني ، تقليدي وحديث ، عام وخاص . لتظهر المدينة كشبكات معقدة ، بعضها دائم وبعضها الآخر متغير يرتبط بأدوار الفاعلين .

توجد مقاربة أخرى تفضل تتبع الإستراتيجيات ، مهتمة بتفاعل الأفراد من خلال دورهم الاجتماعي ، بغض النظر عن كثافة المدينة وعدم تجانسها ، ومنه نشأت البيئوية الحضرية (écologie Urbaine) ، إذ تمثل الحضرية سهولة التواصل المباشر بين الأفراد ، إذ تفضل هذه النظرية الحديث عن الفرد المنعزل وظواهر التكيف مع الأوضاع الاجتماعية ولهذا شكلت دراسة الحالات الطريقة الأنجع وليس الجماعات موضوع التحليل ، و يبقى الفرد في مقدمة المشهد ، وهذا ما أيدته أعمال إ. غوفمان " السوسيولوجيا المصغرة " .

انتقد أ.هانرز هذا المنظور الفردي ، " كون المشروع الأنثروبولوجي يسعى للإدراك

---

[1] بونت بيار، إيزار ميشال : معجم الإثنولوجيا والأنتروبولوجيا ، ترجمة وإشراف عبد الصمد (مصباح) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد) ، بيروت ، ط1 ، 2006 ، ص 836 – 837 .

[2] لوجلي صالح الزوي : علم الاجتماع الحضري ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 2002 ، ص 35 .

[3] خليفة عبد القادر : تحولات البنى الاجتماعية و علاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، 2010-2011 ، ص 62 .

الشامل ، فوضع في أوسع خلاصة عن أعمال الأنثروبولوجيا الحضرية جدولا إجماليا " [1] لتنظيم العلاقات في المدينة مع تحليل الظواهر بطريقة نوعية وكمية ، سمح بذلك موضوع المدينية بأن يندرج ويتأسس في ميدان الأنثروبولوجيا ويتجه إلى أن يصبح ميدانا مستقلا . بعد انتشار التجمعات الحضرية في كل القارات وتنوع أنواع الهجرات وكثافتها وتعايش شعوب مختلفة في نفس الأماكن إلى تفجر موضوع الأنثروبولوجيا الحضرية وتوجه الأنثروبولوجيون إلى تحديد ميادين دراساتهم ، ليعطى هذا الميدان الأنثروبولوجي مكانته الحيوية في دراسة ظاهرة أصبحت ملحة خاصة في الجزائر أين أصبحت قضايا المدينة والتحضر والحضرية وما يصاحبها من ظواهر كالعنف والممارسات المختلفة من القضايا الملحة التي تحتاج إلى توفير كل المناهج والأدوات المناسبة لفهم المدينة في الجزائر اليوم .

و بما أننا في مجال البحث في مركز المدينة فأولا ، يجب تحديد مفهوم لكلمة (مدينة) (ville) لكن هل يوجد مفهوم محدد ونهائي لما يعرف بالمدينة ؟ و بدرجة أعمق هل يمكننا أن نطلق هذا المفهوم " مدينة " إن وجد على الظاهرة العمرانية في الجزائر .

إن مفهوم المدينة يعود إلى اليونان (polis) بوليس يحيل إلى مفهوم المكان المغلق و المحمي ، وبذلك تحيل المدينة في الأول إلى مجال مغلق ، كما تولد عنه في المفهوم اليوناني (poloce) شرطة ، و مفهوم (politique) سياسة . لكن هذا الغلق يوازيه مفهوما آخر هو (civis) الذي يعني المواطن المسؤول المنتمي والمندمج في مجموع اجتماعي ، هو الحضرية أو التحضر أو الحضارة ، تصبح إذن العبارة التي تعني الشعور القوي بالانتماء لمجتمع تنظيمي واحد . فالمدينة لا تعني بهذا المفهوم مكانا يمكن تجزئته إلى أحياء ومناطق : " إنها حالة روحية ، فكرية و عقلية "[2] بارك ، مدرسة شيكاغو) ، فالمدينة ليست مكانا للحياة تتلخص خصوصيتها في احتلال مجال من طرف مجموعة متجانسة ، لكنها : مجال اجتماعي للعبور والحركية يمكن للساكنين القياس والاندماج بكل حرية من خلال علاقاتهم مع مجالهم هذا. ومنه تنتج بيئة عمرانية لها تاريخ ، يمكن للساكن

[1] خليفة عبد القادر : تحولات البنى الاجتماعية و علاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية ، مرجع سابق ، ص 63 .

[2] خليفة عبد القادر : تحولات البنى الاجتماعية و علاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية ، مرجع سابق ، ص 74 .

أن يحدد تموقعه ، أن يحدد القواعد الاجتماعية (العلاقات الاجتماعية)، أن يحدد القواعد الاقتصادية ، أن يحدد من خلالها هوية .(مدرسة شيكاغو).

ورد في قاموس علم الاجتماع أن المدينة هي : " تمركز سكاني يتميز بالكثافة ويوجد في منطقة جغرافية صغيرة نسبيا ، ويتجه نشاط السكان إلى أعمال غير زراعية ، تتميز بالتخصص والارتباط الوظيفي ، وتتم داخل نسق سياسي رسمي" . والتعريف الوظيفي للمدينة يركز على سيطرة الأنشطة غير الزراعية (صناعة ، تجارة ، إدارة ، تعليم) عند السكان . أما التعريف القانوني فيشير إلى أن " المدينة مكان له دستور، ويكتسب صفته عن طريق سلطة سياسية عليا . أما تعريفات المدينة التي وردت في التعدادات فعادة ما كانت تقوم على تحديد حد أدنى من الأفراد يصل إلى 2500 نسمة في الولايات المتحدة ، و 2000 نسمة في فرنسا ، و 11000 نسمة في مصر، 20000 نسمة في اليابان " [1] .

إن اهتمامنا بالمدينة ليس من حيث كونها موقعا جغرافيا فقط ، بل المراد بالتدقيق هو معرفة ديناميكية التحضر، ومن حيث المبدأ يمكن القول كما جاء به قيس النوري [2] : " إن التحضر هو المسار الذي يتعرض له سكان القبائل والفلاحون في أثناء تكيفهم للحياة الحضرية في المدن " ، وهو بذلك ليس مجرد الهجرة إلى المدن ، بل ينطوي الموضوع على تتبع المسار

الثقافي والتغيرات الفكرية والسلوكية أي الممارسات وتحولات القيم والتمثلات التي تصاحب تأقلم هؤلاء مع محيطهم الجديد الذي هو المدينة والمتحول هو الآخر إما بسببهم أو نتيجة ممارساتهم .

وحتى لا نقع في الاستعمال المتناوب لكلمة مدينة وحضرية لتفادي الشعور بأنهما مترادفان فإن تحديد مفهوم الحضرية (urbanite) بأنها تشير إلى نوع الحياة في المدينة ، أما المدينة

---

[1] محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الأزريطة الإسكندرية ، 1995 ، ص 57 .

2 قيس النوري : الأنثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2001 ، ص 18 .

و التي تتفق معظم تعريفاتها على التوجهات التالية : طبيعة قاعدتها الاقتصادية ، والوظيفة ، واستقلالها البنائي ، وخصائصها الفكرية والروحية ، ونوعية العلاقات الشخصية المتبادلة فيها ، بالإضافة إلى بنيتها الاجتماعية وسماتها السكانية . ومن هنا نحن لا نتعامل مع المدينة في حالتنا من المنظور المادي أي عدد السكان والمؤسسات المرئية والرسمية بل المفيد لنا هو تتبع المسارات الحضرية والنوعية الخاصة للعلاقات الاجتماعية . نلاحظ أن المدينة ليست مكانا للعلاقات اللاشخصية فقط بل " للأسر والجماعات القرابية والأحياء الإثنية التي تكون علاقات جزئية غير ثابتة " [1] .

ويمكن القول أن بعض نماذج السلوك التي تحصل في المدينة لا تعد جزء من النمط الحضري بالتعريف خصوصا ما يرتبط ببقايا الثقافة القبلية والريفية كما نلاحظه في كثير من المدن العربية التي تضم أعدادا كبيرة من سكانها تمارس العديد من الأفعال المعبرة عن قيم البداوة والريف . وعموما فإن التعريف الذي نضطر لقبوله فيما يتضمنه من حد أدنى من التعقيد السكاني والمؤسساتي والبنائي والذي يعتبر ما دونه من تجمعات سكانية ليست من المدن [2] .

ومع مرور الوقت شهدت المدينة صراع حادا و حامي الوطيس ، بين ثقافة وافدة (الثقافة الريفية) وأخرى نمطية حضرية بتعبير لويس ويرث في منتجاتها المعمارية ، سببته سياسة المخطط المحدودة ، وثقافة المواطن المفقودة . ما ادخل العمارة في اغتراب حضري ناتج عن النسيج العمراني الغير مستقر ، وبروز و ظهور أحياء ومدن جديدة إلى الواجهة ، فرضتها موجات النمو الحضري الناتج من حركية الهجرة الريفية المستمرة و عوامل النمو الديموغرافي المتواصل .

هذا وقد ساهمت تعدد أصول ومشارب الوافدين (المهاجرين) إلى ضعف التجانس الاجتماعي والاقتصادي لهم ، ما أدى إلى تحطيم روابط الفضاءات التقليدية ، وبروز التناقض في الأشكال العمرانية و المعمارية بين التقليدي و الريفي و الحديث المعاصر ،

[1] قيس النوري : الأنثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة ، مرجع سابق ، ص 20 .

[2] المرجع نفسه ، ص 20 .

إضافة إلى المظاهر الاجتماعية الأخرى مثل البطالة و الجريمة و التشوه العمراني ، وانعكاساته على مختلف مظاهر الحياة ، هذه المسائل و الظواهر أصبحت تطرح نفسها و بقوة على طاولة تفكير المخططين و المسيرين والمهتمين بالشأن الحضري .

وبطبيعة الحال تشهد المدن الجزائرية ديناميكية سريعة وحركة نشطة في مختلف الانجازات والمشاريع ، نتجت عنها توسعات ميدانية . ما أعطى للمدن وجها أخر ومسارا مختلفا من حيث الحركة و البناء ، تاركة وراءها بصمات برزت بجلاء و وضوح في المجال الترابي للوطن عاكسة بذلك معالم وملامح الهوية من خلال إفرازات المظاهر الثقافية و الاجتماعية وحتى السيكولوجية على تخطيط و مورفولوجية المدينة .

هذا و قد لعبت السياسات المطبقة في الجزائر دورا كبيرا في تنامي درجة التحضر، فازدادت المستشفيات في ظل الإصلاحات الخاصة بالمجال الصحي . كما لعب التعليم وسياسات محاربة ظاهرة الأمية التي شملت شرائح مهمة في المجتمع الجزائري أيضا دورا كبيرا في ذلك . إضافة إلى التحول في النهج الاقتصادي بإتباع سياسة اقتصاد السوق وحرية التجارة في السنوات الأخيرة ، بحيث طبعتها الفوضى مع تيار المعايير والمقاييس المعمول بها في هذا المجال ، وتناقص أو انعدام الرقابة أحيانا على النشاط التجاري خاصة

داخل المدن [1]. ومع إفرازات وسائل الاتصال الحديثة في فضاءات الإعلام المختلفة طور الكثير من العادات الاجتماعية التي تمس الإطار القيمي للمجتمع وللعائلة الجزائرية مم خلق أنماط حياتية جديدة وبالتالي أشكال ونماذج استقلالية أخرى ، تعتبر إضافات وتغييرات للحياة الحضرية للمجتمع الجزائري .

[1] التغير الاجتماعي . الأجيال والقيم في الجزائر www crask .dz .org/article-1026html

الفضاء المعاش و تمثلاته الاجتماعية :

تعتبر علاقة الإنسان بالفضاء المعاش من الإشكاليات الأساسية التي تشغل الباحثين في مختلف العلوم ، بما فيها علم الاجتماع الحضري باعتبار المسكن شكلا فضائيا و هندسيا مميزا ، و أن الفضاء السكني و الساكن يكونان في علاقة دائمة تسمح للساكن بتنظيمه و إعادة تنظيمه حسب التصورات و التمثلات التي يحملها ، فالفضاء السكني يكون مهيكلا حسب هوية الساكن .

و يعتبر الفضاء إنتاجا جماعيا و جزءا من الحياة الاجتماعية ، حيث تراه عكروت فريدة في دراستها " مفهوم الفضاء و تمثلاته الاجتماعية "[1] : هو ذلك المكان أو المجال المادي و المعنوي المفتوح أمام الأفراد من أجل الاستفادة المشتركة في النشاط لتحقيق المعنى المشترك ، حيث يتخذ الأفراد في الفضاء المعين سلوكيات معينة حسب الوضعية التي يتواجدون فيها (أي حسب طبيعة الفضاء) يتفاعلون و يتبادلون الآراء ، المواقف و الاتجاهات ، ينشئون بذلك فضاء حيويا ذا دلالة لجميع المتدخلين فيه و ذا منفعة مشتركة يستعملونه لبلوغ أهداف و غايات معينة . و الفضاء السكني حسب ما يراه عبد القادر القصير هو " البناء الذي يأوي إليه الإنسان و يشتمل هذا البناء على الضروريات ، التسهيلات ، التجهيزات الأدوات و الأجهزة التي يحتاجها أو يرغب فيها الفرد لضمان تحقيق الصحة الطبيعية و العقلية و السعادة الاجتماعية له و لأسرته " [2] . و بهذا التعريف نستطيع أن نعتبر الفضاء السكني شكلا تنظيميا توظيفيا من طرف السكان كنتيجة لتمثلاتهم ، فهو المكان الذي يشعر فيه الفرد بإنسانيته و كرامته ، و يجسد فيه و تصوراته بما يناسبه.

و فيما يخص التصورات الاجتماعية ، فترى نورية سوالمية في دراستها المعنونة بـ " توظيف الفضاءات السكنية الجاهزة بين التصورات و الممارسات "[3] أنها ظواهر معقدة

---

[1] عكروت فريدة : مفهوم الفضاء و تمثلاته الاجتماعية ، مجلة الصورة و الاتصال ، عدد 22 ، مستغانم الجزائر ، فيفري 2018 .

[2] القصير ع : الأسرة النتغيرة في مجتمع المدينة العربية (دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري ة الأسري) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1999 ، ص 169 .

[3] نورية سوالمية : توظيف الفضاءات السكنية الجاهزة بين التصورات و الممارسات ، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ، عدد 9 ، الجزائر ، دبسمبر 2014 .

فعالة في الحياة الاجتماعية تتواجد داخل الواقع الاجتماعي بصورة دائمة ، و هي مجموعة منظمة من الآراء و المعتقدات و المعلومات و المعارف . و هي في تغيير مستمر يكتسبها الفرد في حياته اليومية .

الخصائص الاجتماعية للبيئة السكنية و علاقتها بخصائص السكان :

من المعروف في مجال تخطيط المدن ، أن شكل المبنى وعمارته لهما تأثير على شخصية الساكنين ، وهناك تفاعل بين الإطار العمراني والإنسان ، وكثير ما يتبادل الإنسان التأثير مع البيئة الفيزيائية التي يعيش فيها ، لذلك كانت اغلب المعالجات لحل مشاكل المدينة معالجات عمرانية .

" إن عملية التخطيط أو التصميم قادرة على التغيير من عادات وتقاليد وسلوك ساكنيه أو مستخدميه باستخدامهم لهذا المنشأ " [1] ، لذا كان لا بد من الحرص على توافر قدر مناسب من التفاعل ضمن الوحدة الصغيرة في المدينة (المحلة أو المجاورة السكنية) بحيث يتحول التواصل إلى حياة مشتركة مثمرة و منسجمة من الناحية النفسية والاجتماعية ، ويؤيد الأثر الكبير للقرب المكاني وصغر العدد في تكوين الصلات في المنطقة السكنية صغيرة ، إذ يقول فيستيغر (Festinger) بان " الارتباطات بالمنطقة السكنية تعمل كقنوات اتصال تجري فيها المعلومات والآراء ، وهذه العملية من شانها أن تجعل حياة الجماعة أكثر تماسكا ، كما يوجد افتراض عام في تخطيط المدن وبنائها وهو أن الاتصالات الاجتماعية الأولى ونواة الحياة الاجتماعية تتكون في المجاورة السكنية ، وللمجاورة تأثير كبير في تحديد خصائص الصلات ، لكون الإنسان يمضي وقتا طويلا من حياته في المسكن " .[2]

وقد أثرت الدراسات المختلفة في العمارة وأدت إلى ظهور اتجاهات تهتم بدراسة السلوك الإنساني كأداة لتصميم العناصر العمرانية لتلبي الحاجات الاجتماعية ، فعندما نريد من السكان أن يقيموا العلاقات الاجتماعية ، فيجب أن توفر لهم البيئة العمرانية المناسبة ، بتشكيلها العمراني ، و وحداتها السكنية ، من أجل أن تأخذ هذه العلاقات حيزها في المحيط

[1] الطياش ، خالد : بعض الأحياء تفتقر للترابط الاجتماعي والبعض الآخر يزرع الألفة بين ساكنيه. جريدة الرياض . العدد / 14745 . 2008 ص 13 .

[2] الكناني، نجم : الحياة الاجتماعية في المدينة وجدوى المعالجات العمرانية. جريدة المدى . بغداد ، 2008 ، ص 9 .

الاجتماعي . ويذكر الباحث المعماري نوبل (Noble) بأن على " المعماريين أن يشكلوا السلوك الإنساني بالبيئة العمرانية والمعمارية التي يصممونها " [1].

وهناك الكثير من المؤثرات التي تحدد طبيعة التفاعل ونوع العلاقات داخل الجماعة ، نذكر ثلاثة عوامل رئيسية منها هي :

• طول المدة التي يقضيها الأفراد داخل الجماعة، ففي الجماعة الصغيرة تشكل العلاقات ببطء ثم ما تلبث أن تتوطد بسبب التقادم .

• القرب المكاني ، إذ أن الوجود في مكان صغير محدد ييسر عملية الاتصال والتفاعل مع الآخرين وجها لوجه .

• صغر العدد ، فالجماعة الصغيرة ذات العدد المحدود تتيح فرصة اكبر لأعضائها في توثيق المعرفة الشخصية [2].

فالإنسان كمخلوق حي أهم ما يسعى إليه هو تلبية متطلباته الحيوية الفسيولوجية والسيكولوجية التي تتفاوت حسب السن والبيئة المحيطة والثقافة والعادات ، وهنا نجد أن العمارة والعمران تؤثران في تلبية هذه المتطلبات وتتأثر بهم أيضا ، وبقدر ما يحصل الإنسان على متطلباته الأساسية بقدر ما يكون إنسان منتج فعال قادر على النهوض بالتنمية العمرانية .

و السلوك العام لسكان منطقة ما ، يحكمه في الغالب سلوك الأكثرية ، فيتميز الحي بشخصية معينة لها سماتها السلوكية الإنسانية وطابعها العمراني والمعماري الواضح ، ويظهر السلوك الإنساني وأسلوب الحياة أكثر وضوحًا من تأثير الطابع العمراني والمعماري للحي ، ألا إن أسلوب تعامل وتفاعل السكان مع البيئة المبنية المكونة للحي ،

[1] الحقيل ، عبد الحكيم : تجربة النمط العمراني المستحدث في البيئة العمرانية العربية الإسلامية ، دراسة اجتماعية عمرانية لواقع أحياء مدينة الرياض الجديدة ، السعودية ، 2009 ، ص 53 .

[2] الكناني، نجم : الحياة الاجتماعية في المدينة وجدوى المعالجات العمرانية ، مرجع سابق ، ص 10 .

تعطي للطابع العمراني بعدًا آخر يختلف من حي إلى حي ، ونتيجة تفاعل السلوك الحياتي للسكان مع مكونات الحي السكنية والخدمية تتحدد الشخصية أو السمة المميزة للحي ، والتي تكون بذرتها الأولية والأساسية هي الخلفية الاجتماعية لمجموعة السكان الأوائل له ، فهي التي تحدد اللبنات الأولى في بناء شخصية الحي وسمة ساكنيه ، كما أن موقع الحي يشكل عنصرًا هامًا من عناصر تكوين شخصيته وسلوك ساكنيه ، كما إن لنقاط الجذب داخل الحي دورًا كبيرًا في تكوين طابعه كالجامعات والأسواق الشعبية والأندية الرياضية والثقافية ومراكز الأعمال المختلفة إضافة إلى نسبة عدد المواطنين في الحي .

ويولد السلوك المتماثل لدى ساكني الحي الواحد اختلافا واضحا بين سكان الأحياء المختلفة ، مما ينتج عنه نوعًا من الشعور بالاختلاف بين الأفراد الساكنين في تلك الأحياء في مجالات الفكر والثقافة والرقي والتطور وأسلوب الحياة والتعامل مع البيئة العمرانية والمعمارية ، وبالتالي " يخلق اختلافًا كبيرًا في نظرة كل فئة للأخرى بطريقة سلبية أو ايجابية " [1] .

ويحتاج السكان إلى التفاعل الاجتماعي والى الخصوصية في ذات الوقت ، والبيئة المبنية يمكن أن تساعد أو تعيق تحديدنا لمنطقتنا الشخصية الخاصة ، فالازدحام و عدم السيطرة على الفراغ الشخصي و بالتالي انعدام الخصوصية يضر بالعلاقات الاجتماعية و يؤدي إلى العدائية ، والسلوك التعسفي ، و استعمال المواد المخدرة ، لذا لا بد للبيئات من أن تصمم بحيث تستجيب لاحتياجات السكان من الخصوصية والتفاعل الاجتماعي على حد سواء .

[1] الطياش ، خالد : بعض الأحياء تفتقر للترابط الاجتماعي والبعض الآخر يزرع الألفة بين ساكنيه ، مرجع سابق ، ص 10 .

أثر الكولونيالية في مدن المغرب العربي و الجزائر :

إن السعي وراء تطوير التصميم الخارجي ، يتطلب العودة إلى تاريخ هذا التصميم منذ بداية فن العمارة ، لتعرَف ملامح التصميم في كل عصر ، وبذلك نستطيع رصد التحولات التي تمت عبر العصور وعلى اختلاف الأمصار ، ضمن نطاق الوحدة الجمالية التي يتمتع بها الفن المعماري ، شهدت الحقبة الاستعمارية التفاتات من لدن لفيف من المعماريين الغرباء الذين اجتهدوا في إحياء تراثنا المعماري ، من خلال تيار ظهر في أواسط القرن التاسع عشر وابتدأ في مصر والجناح المغربي من الوطن العربي ، و أطلق الفرنسيون على هذا الطراز من البناء اسم (Arabisance) ، ونعته بعضهم بـ " الحداثة " أو " الحداثة الكلاسيكية " ، و وسمه بعضهم بـ " العقلانية المحلية " [1] .

و شهدت العمارة الأوربية خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر حتى حلول القرن العشرين حركة دؤوبة في البحث عن الجديد وشحذ حالة الاستلهام في العمارة من الطرز السابقة ، فمنهم من شرع يستعمل الحديد في الهياكل البنائية ، ومنهم من حاول إحياء طرز العمارة الدارسة كالفرعونية أو الإغريقية أو الرومانية أو حتى القوطية في طراز القوطي الجديد . وتمادى القوم في بعض المناهج التي امتزجت بعضها مع بقايا طراز " الباروك أو الروكوكو " [2] المضمحل ، حتى تمخضت عن طراز انتقائي يدعى الطراز الكولونيالي (colonial) الاستعماري بسبب تزامنه مع المرحلة الاستعمارية التي ابتدأتها فرنسا في الجزائر عام 1831 ، وتلتها دول المغرب بعد ذلك .

ومع بداية الاحتلال الفرنسي لدول المغرب العربي خضعت هذه الدول إلى تناقضات أخلت بتوازنها مع بدء تنفيذ المشاريع الاستعمارية وأوجد نتاجاً معمارياً هجيناً بين المدينة الأوربية والمدينة الإسلامية ، وارتبط تخطيط المدن بالحالة الاجتماعية والاقتصادية لكل مدينة ، فبداية مهد المستعمر في الجزائر لقدومه ، فمنذ عام 1836 وخلال 40 عاماً دخلت فرق

[1] ندى الحلاق : الكولونيالي في الشخصية المحلية في العمارة و العمران ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية ، عدد 1 ، 2012 ، ص 253 .

[2] BAROQUE AND ROCOCO ARCHITECTURE by Henry A . million : the great ages of world architecture .

فرنسية وعملت على أربع مدن رئيسية وهي الجزائر- عنابة – بجاية – وهران ، ومن ثم أصبح الاحتلال في الجزائر كاملاً باستخدام القوة العسكرية فقام المحتل بتقسيم الأراضي والأملاك بين القبائل المنفصلة فشرعت منذ أربعينيات القرن التاسع عشر تضع الخطط لتوسعة هذه المدن القديمة الموروثة ، ولاسيما الساحلية منها وبعض المدن الداخلية كقسنطينة [1] ، واعتمدت على العمال المحصور عملهم مع الجيش .

أما في تونس فقد كان الاحتلال يطبق عملياً حيث استعملوا شريحة من المجتمع كأداة ضغط للمحتلين ، وفي المغرب قام الاحتلال باستخدام نظام المحافظة والهيكلية الاجتماعية ، وبذلك اختلفت آثار الاستعمار في البلدان الثلاثة من جهة البناء في المدن و العمران فكان لكل دولة تنظيم مختلف .

ومن ثم أنتجت مدناً جديدةً على الطراز التقليدي سمي بـ (M'edina) وكانت هذه المدن تلبي حاجات الاستعمار العسكرية حيث عين المسؤولين الأساسيين من المهندسين العسكريين الذين قاموا بتنظيم مخطط عمراني يحدد الفراغ العام للمدينة ، " وأقاموا الحدود التي تفصل بين الفراغات العسكرية والمدنية و أنشؤوا الطرق التي تخدم المباني الفرنسية الهامة " [2] .

و اعتمد المحتل الفرنسي في الجزائر على إقامة مشروع الحدود وذلك بتحديد مجال المدن القديمة المتحولة ، ومن ثم ربط مراكز المدن بقرى المحتلين الجديدة ، عن طريق إنشاء الطرق الجديدة وسكة حديد لإتمام عملية الربط ، وفي العام 1840 عين المارشال (Bugeoud) رئيساً عاماً ، عمل على خلق نقاط مركزية وجعلها كقاعدة للعمليات فضلاً عن تأمين خدمات تقنية ترتكز عليها هذه المدن . حددت فيما بعد المهام التي يجب المباشرة بها من خلال مشروع أطلق عليه اسم مشروع (Genie) " ويهدف إلى محاكاة واقع المدينة مع المخطط التنظيمي (Alignement) ، فبدأ بالعمل على تخطيط البنية التحتية

[1] http://irbid.hooxs.com/t47829-topic عالم أريد

[2] ندى الحلاق : الكولونيالي في الشخصية المحلية في العمارة و العمران ، مرجع سابق ، ص 255 .

لمجاري و اعتمد المحتل الفرنسي في الجزائر على إقامة مشروع الحدود وذلك بتحديد مجال المدن القديمة المتحولة ، ومن ثم ربط مراكز المدن بقرى المحتلين الجديدة ، عن طريق إنشاء الطرق الجديدة وسكة حديد لإتمام عملية الربط ، وفي العام 1840 عين المارشال (Bugeoud) رئيساً عاماً ، عمل على خلق نقاط مركزية وجعلها كقاعدة للعمليات فضلاً عن تأمين خدمات تقنية ترتكز عليها هذه المدن . حددت فيما بعد المهام التي يجب المباشرة بها من خلال مشروع أطلق عليه اسم مشروع (Genie) ويهدف إلى محاكاة واقع المدينة مع المخطط التنظيمي (Alignement) "[1] ، فبدأ بالعمل على تخطيط البنية التحتية لمجاري المياه و وضع الفرش الطرقي من نباتات وأشجار ، وعبدت الطرق وممرات المشاة ، ومن ثم انتقلوا إلى بناء الأسوار المحيطة بالمدن لحمايتهم و جعلوا أبواباً لها [2] .

أما في تونس والمغرب فقد غير المستعمر من خطته وأوقف عمليات الهدم التي حصلت في الجزائر ، فبدأت مرحلة جديدة للتخطيط العمراني الذي اعتمد الإبقاء على المدن القديمة ودمجها مع المدن الجديدة ، فكان التماساً واضحاً بين المدينتين في حين كانت معظم المباني العسكرية تقام خارج حدود المدن القديمة وكان أول مهندسيهم المعماري (Heri Prost) أول من وضع مخطط المدن بمقياس كبير وفق النقاط الآتية :

- المحافظة على الأحياء المغربية لجماليتها .

- خلق شريط أخضر ضمن الأراضي الواسعة .

- رسم و بناء المدن المتطورة الأنيقة وفق السياسة الاروبية . [3]

[1] ندى الحلاق : الكولونيالي في الشخصية المحلية في العمارة و العمران ، مرجع سابق ، ص 256 .

[2] elbakri harmachi : Anthropos In Etat et Societe'an Maghreb,ed , Paris , 1975 , p 29 .

[3] المرجع نفسه ، ص 31 .

وهنا برزت مجموعة تيارات في العمارة كان أهمها طراز أسماه الفرنسيون (Arabisances) وأطلق عليه بعضهم الحداثة أو الحداثة الكلاسيكية ، و وصفه بعضهم بالعقلانية المحلية، واستلهمت مصادره من العمارة البرجوازية في أوربا و لاسيما طراز الباروك و الركوكو . وفي عام 1855 كرس المعماري بانز هذا الطراز في معالجة الواجهات وتفاصيلها من عناصر مستلهمة من العمارة الفاطمية والمملوكية ، وقد توسع هذا الطراز بقدوم المعماريين المرافقين للجيوش الغازية [1] ، وفي عام 1911 بدأ المستعمر في المغرب بإنشاء سلسلة من المدن الساحلية التجارية ، و أولت العناية لمدينة الدار البيضاء في مركزها الحضري فبنت مجمع المحكمة والإدارة الاستعمارية ، وهو اليوم من أهم المعالم شداً للأنظار لجمالية تركيباته ، وكذلك حي الحكومة في مدينة الرباط المبني على الطراز المعرب (Arabisance) ، وبعض الأحياء الجديدة التي خصصت للأوربيين ،

وهنا برزت مجموعة تيارات في العمارة كان أهمها طراز أسماه الفرنسيون (Arabisances) وأطلق عليه بعضهم الحداثة أو الحداثة الكلاسيكية ، و وصفه بعضهم بالعقلانية المحلية، واستلهمت مصادره من العمارة البرجوازية في أوربا و لاسيما طراز الباروك و الركوكو . وفي عام 1855 كرس المعماري بانز هذا الطراز في معالجة الواجهات وتفاصيلها من عناصر مستلهمة من العمارة الفاطمية والمملوكية ، وقد توسع هذا الطراز بقدوم المعماريين المرافقين للجيوش الغازية ، وفي عام 1911 بدأ المستعمر في المغرب بإنشاء سلسلة من المدن الساحلية التجارية ، و أولت العناية لمدينة الدار البيضاء في مركزها الحضري فبنت مجمع المحكمة والإدارة الاستعمارية ، وهو اليوم من أهم المعالم شداً للأنظار لجمالية تركيباته ، وكذلك حي الحكومة في مدينة الرباط المبني على الطراز المعرب (Arabisance) ، وبعض الأحياء الجديدة التي خصصت للأوربيين ، وقد كان جلُّ هذه الأعمال قد نفذت بمساعدة المعماري الفرنسي (هنري بروست) و زميليه (لافورغ لابارد) [2] وفي معظم تلك المدن اعتمدت السلطات الفرنسية على القدرات المحلية

[1] ندى الحلاق : الكولونيالي في الشخصية المحلية في العمارة و العمران ، مرجع سابق ، ص 256 .

[2] علي ثويني – مقالة عن الموقع ftp/articles/2003/09/09-http://www.azzamzn.com/azzaman03/699.htm

المغربية وقد أشاعت هذه الحركة انتعاشاً في بنية العمالة التقليدية مثل معّلم البناء و معلم النجارة و معلم التبليط و معلمي الجص و الزخرفة ، واستمر هذا الطراز في تونس متمثلاً في بعض الأبنية التي تخدم الهدف العسكري والإداري . وقد أمرت السلطات الفرنسية بجلب عدد من المعماريين الفرنسيين أكثرهم حامل للفكر التحرري ، " وقاموا بزيارة مدن البلد قديمها وحديثها لإغناء فكرهم وليستلهموا من تراثها أفكارهم ومنهم المعماري (Jaques Marmy) الذي بنى البلدية في مدينة بنزرت ، وجامعة القيروان ، وقد سبق لهذا المعماري أن اشتغل في المغرب وتعلم من أسرار حرف البناء المغربي ، وكذلك المعماري برنار زيرفوس (Zerhrfuse Bernsrd) الذي صمم أبنية متميزة في مركز مدينة سيدي بوزيد ، وكذلك المعماري جاسون كير ياكوبولوس (Jason Kyriacopolos)

الذي أعاد تخطيط مدينة بنزرت إبان الاحتلال الفرنسي ". [1]

أما في الجزائر فتمثل الطراز " الغربي المعرب " في بناء محطة القطارات في مدينة وهران ، ومكتب البريد المركزي في حي القصبة التاريخي[2] .

أما في ليبيا وإبان هجرة البنائين الايطاليين في العشرينيات بسبب الأزمة الاقتصادية في بلادهم فقد شهدت مدن طرابلس وبنغازي أعمالاً كثيرة مثل البنك الوطني في طرابلس بنك الآمة ، وكثير من الواجهات للمباني التي غطيت بالحجر الصناعي والرخام . وقد امتدت هذه الموجة إلى مصر فنجد أن الطراز المعرب ظهر في الأبنية التي بناها الأوربيون في مدن القاهرة و الاسكندرية وخصوصاً فيما يتعلق بأبنية الإدارات العسكرية والمواصلات والقصور ، وأجملها مشهد جامع الشيخ المرسي أبو العباس في الاسكندرية التي صممها المعماري الإيطالي ماريوس روسي وحى السكاكيني الذي سمي كذلك نسبة للقصر الذي بني فيه على يد معماريين إيطاليين جاؤوا خصيصا للمشاركة في بناء القصر، الذي يعد النموذج المجسم لفن " الروكوكو " .

---

[1] ندى الحلاق : الكولونيالي في الشخصية المحلية في العمارة و العمران ، مرجع سابق ، ص 258 .

[2] ندى الحلاق : الكولونيالي في الشخصية المحلية في العمارة و العمران ، مرجع سابق ، ص 257 .

و فيما يخص العمارة الكولونيالية ، فهي تعتمد التزيين أساساً على الخط المنحني ذي المنشأ النباتي أو الهندسي ، وهو استعراض للمهارة الحرفية من خلال استخدام مواد بنائية وتفاصيل دقيقة كما اتصفت بظهور عنصر الشرفة (balcony) المحمولة على أحجار بارزة كعناصر تزيينية في الواجهات ، فضلاً عن الاهتمام بفكرة تأطير النوافذ " وكان هذا تجديد لدور الحرفي وإعادة توظيف للأدوات المستعملة في البناء "[1] .

واستجابة لهذه العوامل مجتمعة نجد أن المهندس قد تعرف المشكلات الخاصة بكل مشروع بعد أن كان لا خلاف بين تصميم مبنى المستشفى ومبنى المكتبة العامة ، فوضع التصميم الذي يلائم الاستعمال و وظيفة المبنى ، بل وأصبح كل مبنى يتميز بمسقط خاص ، " فنجد أن مباني البنوك والبورصة كانت تتميز بصالة مركزية ذات سقف زجاجي يتجه نحو الشمال أما في مباني المتاحف فروعيت دراسة الإضاءة الطبيعية والاستفادة منها بقدر الإمكان ، وتعددت التصاميم بالنسبة إلى مباني الإدارات لكي يتلاءم المسقط مع طبيعة الاستعمال لكل مبنى، رغم كل هذا كان الهدف الأساسي لمهندسي هذا القرن الاهتمام بتشكيل الواجهات وتجميلها وإبراز فتحاتها بنسب متوافقة ومتوازنة " [2].

(2) صورة تظهر شكل واجهة أحد العمارات المتواجدة في وسط مدينة مستغانم (ميدان الدراسة)

من إعداد الباحث

[1] شيرين إحسان شيرزاد : لمحات من تاريخ العمارة و الحركات المعمارية وروادها ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، د/ط ، 2002 ، ص 151 .

[2] المرجع نفسه ، ص 159 .

السَكن وعلاقته بالموروث العمراني و الخيارات الثقافية :

السَكن أو habitation ، الذي هو الموضع الصغير نسبيا مبني أو مرتب لأجل إقامة البشر[1] (أو لحماية الحيوانات أو المحاصيل) . إنه بطبيعته يشهد على إكراهات وإمكانيات المحيط المجاور ، ولذالك نجد أشكاله ونماذجه والمواد التي شيد بها تتنوع وتتعدد ، إنه ليس فقط تعبير عن حاجات جغرافية مادية بل هو أيضا إنجاز ثقافي اجتماعي ورمزي. يخضع للضغوطات المادية والوظيفية ، كما يخضع لتقنيات الكسب والتصنيع . وبالتالي يظهر في الواقع كحصيلة عوامل عديدة متشابكة (أرض، مناخ، تاريخ، إقتصاد، اجتماع، نظام الرموز...) ، هذه العوامل ينظمها المجتمع ويرتبها حسب خصوصياته الثقافية . يغلِّب (أ. رابوبوت) في دراسته حول أنثروبولوجيا المسكن العوامل الثقافية في تحديد شكل المسكن وتحديد وظائفه و مناويل احتلاله [2] . كما يؤيده في ذلك (حسن فتحي) في تجربته الشهيرة في بناء قرية قرنه في صعيد مصر [3]. وقد خلصت معظم البحوث إلى التأكيد على أن الإكراهات والإمكانات الطبيعية المادية إنما توفر عدة خيارات تحددها الأنساق الثقافية (أ. رابوبوت). ولدراسة المسكن والبيت دراسة سوسيولوجية ، للإستفادة منها في إلقاء الضوء على موضوعنا العمارة الكولونيالية و التجاذب ، والتي يعتبر المسكن أحد ركائزها ، كونه المجال أو المدى أو الفضاء المحدد أو الذي تحدده الأسرة لعيشها كبناء إجتماعي أساسي . يجب أخذ عدة أمور أساسية في الحسبان وهي :

- إكراهات المحيط المجاور واستجابات الهندسة المحلية لها في صفة حلول هندسية كالمناخ ، الأرض وغيرها.

- الوسائل التقنية المستخدمة لمتانة البناء .

[1] بونت بيار، إيزار ميشال : معجم الإثنولوجيا والأنتروبولوجيا ، مرجع سابق ، ص 848

[2] Rapopot Aamos : pour une Anthropologie de la maison , Dunod , Paris . 1972 .

[3] Fathi HASSAN : Construire avec le peuple histoire d'un village d'Egypte , Gourna »4e , sindbad , Paris , 1985

- مكانة المسكن في نظام الإنتاج والنظام الاقتصادي عموما .

- رمزية التنظيم الاجتماعي عبر أشكال وهيئة المسكن .

- طرق السكن والعيش واستعمال عناصر و فضاءات السكن ، والتي تعبر عن قيم وعادات المجتمع .

- الروابط الرمزية التي تنتجها المجتمعات بين العمارة والمجال والمعتقدات والتمثلات الإجتماعية .

- القواعد الجمالية التي تتحكم في الشكل الهندسي .

و العائلة (famille) تبدو جزءا من النظام الطبيعي ، ما أعطاها هذا الانطباع كونها ذات طابع كوني ، خاصة الأسرة الزواجية ، والتي تعرف بأنها إتحاد معترف به اجتماعيا بين رجل وامرأة يعيشان مع أولادهما [1] ، نجد هذا الشكل عند الشعوب البدائية كما نجده عند الشعوب الأكثر تطورا . وتعد الأسرة الزواجية نواة العائلة التي تعددت أشكالها وحجمها من ممتدة إلى مركبة . لكن من الملاحظ أن المؤسسة العائلية بالرغم من كونها ضرورية وحيوية وشاملة ، لا نجد لها تعريفا محددا [2] . حيث نجد من أبرز التعاريف التي تعطي مقابلة بين الأسرة والمنزل ، فالأسرة " هي مجموعة أشخاص ذوي دم واحد يعيشون جنبا إلى جنب " هذا بالنسبة للقاموس الفرنسي ، والذي يأخذ الإقامة المشتركة والدم الواحد كمعياران أساسيان في تعريف العائلة . أما بالنسبة للموسوعة البريطانية (Encyclopedia Britannica) تميز العائلة بالمقر المشترك والتعاون الاقتصادي والتناسل بين راشدين من الجنسين ، لدى اثنين منهم على الأقل علاقات جنسية مقبولة اجتماعيا . أي أن الطابع الاجتماعي هو الذي يعطي الشرعية للأسرة وليس الطبيعي .

[1] بونت بيار، إيزار ميشال : معجم الإثنولوجيا والأنتروبولوجيا ، مرجع سابق ، ص 639 .

[2] بونت بيار، إيزار ميشال : معجم الإثنولوجيا والأنتروبولوجيا ، مرجع سابق ، ص 639 .

من هذا نستنتج أن العلاقة وطيدة بين العائلة ومكان الإقامة ، إذ لا يمكننا تصور علاقة أسرية ثابتة وتعاون اقتصادي دون وجود مكان إقامة ثابت نسبياً على الأقل لتحقق الأسرة والعائلة من خلال التواجد معا في أكثر الأوقات من تحقيق وظائف الأسرة الأساسية : الحياة الجنسية، التوالد، الاكتفاء الاقتصادي ، الهوية الشخصية والجماعية ، تربية وتعليم الأولاد .

من هذا نستنتج أن العلاقة وطيدة بين العائلة ومكان الإقامة ، إذ لا يمكننا تصور علاقة أسرية ثابتة وتعاون اقتصادي دون وجود مكان إقامة ثابت نسبياً على الأقل لتحقق الأسرة والعائلة من خلال التواجد معا في أكثر الأوقات من تحقيق وظائف الأسرة الأساسية : الحياة الجنسية، التوالد، الاكتفاء الاقتصادي ، الهوية الشخصية والجماعية ، تربية وتعليم الأولاد .
أما هذه الإقامة المشتركة التي يعبر عنها بالمسكن فتشكله العائلة وتحتله وتعيش فيه حسب ظروفها وحاجياتها وهو خاضع للتحولات كما يخضع المجتمع نفسه إلى التحولات .

تعتبر الأسرة صورة مصغرة للمجتمع الكبير نفسه ، إذ نجد أن العلاقات السائدة في المجتمع هي نفسها التي تسود في الأسرة ، و أن الثقافة السائدة في المجتمع تسود هي الأخرى الأسرة ، و التغيرات التي تحدث ضمن الأسرة لا يمكن فصلها عن التغيرات التي تحدث في المجتمع و خاصة في مرحلة انتقالية بين القديم و الجديد ، و أي تغير في المجتمع يقتضي تغير الأسرة ، و العكس صحيح [1] .

و لا يمكن التعرف على الأسرة الجزائرية و تطورها دون التعرض للتحولات و التغيرات التي حدثت و تحدث في المجتمع الجزائري في حد ذاته ، فقد كان المجتمع الجزائري قبل الاستعمار يتكون من مجموعة من القبائل و العشائر و على رأس كل قبيلة أو عشيرة شيخ ، و له مرتبة خاصة في هذه القبيلة أو العشيرة ، فهو القائد الروحي للقبيلة ينظم فيها كل الأمور المادية و الروحية ، فهو المسؤول عن توزيع الأدوار و الوظائف و حماية أغضاء القبيلة و رعايتهم و فك النزاعات التي تحدث داخل القبيلة ، كما أن المجتمع المنزلي لم يكن مبنيا على العائلة ، بل كان هناك عبارة عن جماعة اجتماعية قائمة على القرابة الأبوي كرابطة طبيعية ، بالاضافة إلى تأثر المجتمع الجزائري بالإسلام ، هذا الدين الذي ترك

[1] هشام شرابي : مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، منشورات صلاح الدين ، القدس ، فلسطين ، د/ط ، 1975 ، ص 38-39 .

آثاره القوية في تقاليد الأسرة الجزائرية من خلال السلوكات و العلاقات القرابية لأفرادها .[1]

و قد أدى دخول الاستعمار الفرنسي إلى المجتمع الجزائري إلى العديد من التغيرات الاجتماعية المختلفة ، فقد عمدت السياسة الاستعمارية إلى تفكيك النظام القبلي ، و ذلك بتجريد العشائر و القبائل من أراضيها كونها المصدر الاقتصادي و وحدة النظام الاجتماعي ، و ذلك من أجل تحطيم الروح الجماعية و العلاقات العائلية المدعمة بالملكية الجماعية ، و تحرير الفلاح الجزائري من العلاقات القرابية التي تنسجها القبيلة أي تقليص الوحدة القرابية للفرد الجزائري ، و هكذا حلت الملكية الفردية محل الملكية الجماعية ، و انتقلت السلطة من حكم شيخي إلى نظام أبوي ، و من هنا بدأ توسيع السلطة الأبوية في المجتمع الجزائري و انتقال هذا الأخير من النظام العشائري إلى النظام العائلي في شكله الممتد الذي يتكون من عدة أسر يجمعها مسكن مشترك ، و تتميز العلاقات القائمة في الأسرة الممتدة باختلافات واضحة حسب السن ، الجنس و الاتجاه القرابي .

و أهم ما يميز العائلة الجزائرية التقليدية ذلك الحاجز بين الجنسين ، و هو حاجز سميك يرتكز على فكرة المحافظة على البقاء الأخلاقي و الجسدي للمرأة [2] ، و اعتبار أن مهمتها مقتصرة على التنظيم المنزلي من مطبخ و غسيل و غيره من الشؤون المنزلية المختلفة ، و تبرز مكانة المرأة المرأة و تصبح ذات أهمية كلما كان لها عدد كبير من الأولاد الذكور ، فهم مركز الاهتمام في الأسرة الجزائرية ، و كما تتميز القائمة بين الأب و الأبناء بالإحترام للأب ، و يظهر ذلك من خلال الحياء و عدم الكلام بصوت مرتفع أمامه .

و لكن ما إن ظهرت الثورة التي تميَزت بالإلتحام حول أهداف الحركة الوطنية ، أدى ذلك إلى تغيير العائلة التقليدية الجزائرية و كذا تغير اجتماعي داخل المجتمع الجزائري بصفة

[1] مصطفى بوتفنوشت ، ترجمة أحمد دمري : العائلة الجزائرية (التطور و الخصائص الحديثة) ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، الجزائر ، 1984 ، ص 273 .

[2] المرجع نفسه ، ص 17 .

عامة ، و بعد أن تحصل المجتمع الجزائري على الاستقلال سنة 1962 ، أصبحت بنية العائلة الجزائرية التقليدية مفكّكة ، حيث أن أغلب الشهداء كان لهم أسر ، و بالتالي حرم حوالي 300.000 من الأطفال من مراقبة و دعم آبائهم ، و زيادة على ذلك فإن غياب الأب كرئيس تقليدي للعائلة سبب مشاكل حادة أثرت على استقرار هذه المؤسسة ، و بعد فترة الاستقلال أصبح المجتمع الجزائري يمر بمرحلة تغيير عميق في البناء الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي و السياسي ، كما مسَ هذا التغيَر البناء الأسري باعتبار الأسرة الجزائرية وحدة من وحدات المجتمع الجزائري ، و عرفت ثلاثة أشكال :

أ – شكل الأسرة المحافظة و التي توجد خاصة في القرى ، مع وجودها بقلة في المدن . ب – شكل الأسرة الانتقالية التي تجمع في نفس الوقت بين الأفكار الداعية للعصرنة و الأفكار الداعية إلى المحافظة على الأفكار التقليدية ، و يسود هذا الشكل خاصة في المدن الكبرى و المراكز الحضرية مع وجودها بقلة في الأرياف .

جـ - شكل الأسرة المتطورَة ، التي تميل إلى الحياة الأروبية في اللغة و العادات و اللباس غير أن هذا الشكل وجوده قليل في المدن و يكاد ينعدم في القرى [1] .

غير أن التغيرات التي أحاطت بالأسرة الجزائرية الممتدة أصبحت تتسم بدرجات متفاوتة أي أنها تعددت بصورة نسبية و طبقا لتقدم الأحوال الحضرية العامة في المجتمع الجزائري ككل ، و أشارت بعض الدراسات إلا أنه تبعا لحركة النزوح من الريف إلى الحضر بدأت الأسرة الجزائرية تفقد شكلها كأسرة ممتدة (يصل عدد أفرادها الى أكثر من 40 فردا) ، لتتجه نحو شكل الأسرة الزواجية أو النووية ، و هكذا بدأت المدن الجزائرية تستمر بهذا الشكل الجديد ، و تحول بناء الأسرة الجزائرية من النظام الممتد الى النووية ، إلاَ أنه لم يكن بارزا بشكل واضح الا بعد أن نزحت الأسرة الى الوسط الحضري المختلف عن الوسط الريفي ، و من نمو اجتماعي و اقتصادي استهلاكي يقوم بالدرجة الأولى على علاقات القرابة و يعتمد على النتاج الزراعي و الحيواني ، إلى نمط اجتماعي فردي يقوم على

[1] حنان مالكي : الخصائص السوسيولوجية للأسرة الجزائرية – التقليدية و الحديثة - ، مجلة العلوم الانسانية جامعة محمد خيضر بسكرة ، عدد 22 ، جوان 2011 ، ص 8

الاقتصاد الصناعي و التجارة ، و يحكمه العمل المأجور في الزمان و المكان [2] ، و أصبحت الأسرة الجزائرية المعاصرة (النووية) تتميز بصغر حجمها و تغير وظائفها و تغير مراكز أفراد الأسرة و خروج المرأة للتعليم و ميادين العمل ، كما أن تطور و نمو الاتصال بكل أشكاله و الحراك الاجتماعي و الإعلامي و تطور التعليم و العلاقات و توزيع

و تبادل الإيديولوجيات عن طريق الصحافة المكتوبة و الإذاعة و الكتب و السَينما و التلفزيون ، كان له تأثير على بنية الأسرة الجزائرية و تطورها [1] .

يصعب فصل إشكالية الموروث الحضاري عن العمارة و العمران ، فقد ارتبطت ظاهرة افتقاد الشخصية القومية و بالتالي حظيت باهتمام كثير من الباحثين في كافة المجالات كالعمارة ، علم النفس و علم الاجتماع . و تعددت الأطروحات حول ذلك الموضوع إلا أن القاسم المشترك ما بينهم هو الاتفاق على أن أسباب المشكلة ترجع إلى سيطرة التقدم التكنولوجي على العمليات التصميمية ، و عدم احترام القيم الإنسانية مع تجاهل الموروث الحضاري أو تدميره في بعض الأحيان .

و لقد تميزَت الشعوب قبل الثورة الصناعية بشخصيات قومية مختلفة ترتبط كل منها بمقوماتها المحلية بحيث تنمو مع معدلات النمو الخاصة لتلك الشعوب و بمقدرتها على التفاعل و الاندماج مع تلك التطورات .

و يذكر أن عمليات التغيير تؤثر على الصورة الذهنية الجماعية للأفراد و بالتالي عن شكل مدينتهم و مستوى رضاهم عنها . و طبقا لما ذكره (ERWIN altman)[2] فإن الأفراد يتقبلون عمليات التغيير طبقا لقدرتهم على التطبَع ، فإن جاءت سرعة التغييرات متلائمة مع

---

[2] محمد السويدي : مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1990 ، ص 89 .

[1] عمار هلال : أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص 122 .

[2] الموروث العمراني ما بين الأصالة ، القيم الانسانية و المعاصرة
http://www.bu.edu.eg/portal/uploads/Engineering,%20Shoubra/Architectural%20Engineering/679/publications/Mohamed%20Khairy%20Amin%20Hamed_PAPER_05.pdf

القدرة الإنسانية على التطبع أصبحت جزءا من شخصيتهم العمرانية الجديدة ، و إن جاءت أسرع من تلك القدرة أحدثت توترا و قلقا ما بين الأفراد و البيئة العمرانية يمكن أن يصل إلى درجة التصارع و الرفض .

و مع الثورة الصناعية زادت معدلات التقدم العلمي و كذلك وسائل المواصلات و فرص الاتصالات ، و بالتالي سرعة التغيير في المجتمعات مع اختلاط القيم الحضرية للشعوب ، و إن لوحظ اختلاف التأثير على كل من الدول المتقدمة و الدول النامية . فالحضارة العلمية هي وليدة تلك الدول المتقدمة و هي ناتج عقول شعوبها و بالتالي تسهل قراءة حلقات الاتصال ما بينها بالرغم من التفاوت البعيد بين الماضي و بين ما أصبح عليه الحاضر .

و لقد ساعد اتصال تلك الحلقات على تواصل و تكامل مفردات الموروث العمراني الحضاري ، و ساعد على ثبات الصورة الذهنية الجماعية للأفراد و مستوى البيئة العمرانية المستهدفة .

تأثرت الدول النامية بتخلف واضح عن الدول النامية خاصة في المجالات الاقتصادية و التكنولوجية ، و نبلور ذلك في الثورة المعلوماتية في الآونة الأخيرة بما أدى إلى عدم قدرة تلك المجتمعات النامية على التفاعل مع المؤثرات الخارجية و بالتالي عمليات الاندماج مع المقومات المحلية . و تأثرت البيئة العمرانية سلبيا من خلال استخدام بعض العناصر المعمارية المستعارة من الدول الغربية بصورة مكثفة بما أدى إلى افتقاد الشخصية العمرانية المحلية الأصلية وصلت في كثير من الأحيان إلى فوضى بصرية .

و لقد عبر عن تلك المشكلة د. زكي نجيب محمود عند الحديث عن الثقافة المصرية المحلية بشكل عام ، و إن أمكن مجازا مقارنة الموروث العمراني " بمحتوى البيت " المشار إليه في الفقرة التالية : " و من هنا كان السؤال الصعب : فحضارة العصر ليست من صنعنا ولا شاركنا في ذلك الصنع بكثير أو قليل ، بل هي حضارة فتحنا بابنا فإذ هي واقفة أمامنا امامنا كائنا عملاقا متكامل البناء و الأجزاء ، يريد الدخول إلى الديار ، أو نريد له نحن مختارين ذلك الدخول ، فأخذنا الربكة الشديدة : ماذا أنا صانع بمحتوى بيتي إذا دخله ذلك العملاق ؟ أألقي بذلك المحتوى في البحر ليخلص

المكان للوافد الجبار ، أم أسارع بإعادة ترتيب المحتوى بحيث لا يكون ثمة تعارض بينه و بين الزائر الكبير ؟[1] "

و عند الإجابة على هذا السؤال ، لابد أن يرتبط الحديث بدراسة قلب الإختلاف وهو طبيعة و ماهية الثقافة المحلية و التي تؤدي إلى توجيه الناس من خلال تشكيل الإطار الفكري العام لهم و هم بصدد الحكم على الناس و الأشياء . و تلك الثقافة بأصولها الثابتة التي تدوم مع الزَمان و تحدد معالم الشخصية القومية المتفردة للمجتمعات .

و يمكن تقسيم الثقافة إلى عنصرين أساسيين و هما الثقافة اللامادية و الثقافة المادية ، و تختص الأولى – الثقافة اللامادية – بجميع السمات الغير ملموسة كالقيم و المعايير التي تكون المرجعية الثابتة للثقافة ، و تختص الثانية – الثقافة المادية – بما يمكن أن يطلق عليه مظهر الثقافة و هي تلك الأشياء التي يصنعها الإنسان ليعبر بها عنا احتياجاته المتغيرة ارتباطا بالبيئة المحيطة ، و بالقطع تمثل العناصر المعمارية واحدا من أهم تلك العناصر (المباني ، المنازل ، المنتجات الفنية ...) . و على هذا فإن محاولة فهم البيئة العمرانية كناتج مادي للثقافة لابد و أن يرتبط بفهم واعي لعناصر الثقافة اللامادية ، فكثيرا ما يختلف معنى العنصر المادي طبقا لتفسيره من خلال إطار الثقافة اللامادية .

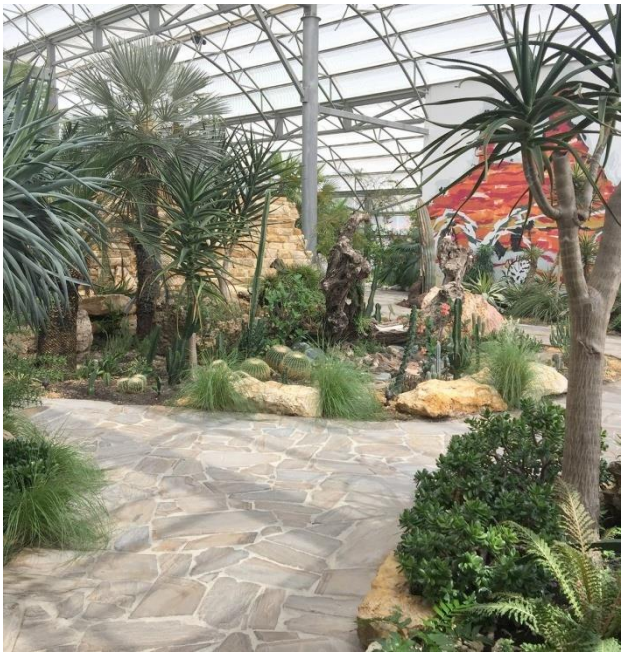

(3) (4) اختلاف مفهوم الحديقة ما بين الثقافة الغربية و الاسلامية

مصدر : google images

[1] زكي نجيب محمود : هذا العصر و ثقافته ، دار الشروق ، مصر ، 1980 . ص 11 .

و يلاحظ العلاقة بين البيئة العمرانية كأحد مكونات العناصر المادية من ناحية ، و بين مكونات العناصر اللامادية للثقافة من ناحية أخرى . فإذا كانت الثقافة إطار محدد للأنشطة الإنسانية من خلال توجيه السلوك ، فإن البيئة العمرانية هي ذلك الوعاء الفراغي الذي يمارس من خلاله أفراد المجتمع تلك الأنشطة ، و ذلك بما يشمل الفراغات الخاصة داخل المسكن أو الفراغات العامة من خلال النسيج العمراني للمدن ، و يتحكم النجاح التصميمي لتلك الفراغات في تيسير أو إعاقة أداء تلك الأنشطة ، و على هذا و بالرغم من أن البيئة العمرانية هي مظهر مادي للثقافة ، إلا أن أهميتها تأتي من كونها ليس فقط كناتج متأثر ، بل كمنتج مؤثر أيضا .

و لا يمكن إدراك قيمة الموروث العمراني كمسؤولية خاصة للمعماريين و المخططين ، بل هي أحد مكونات ثقافة المجتمع و التي تشكل بدورها رأي متخذ القرار ، أصحاب المشاريع و رؤوس الأموال ، المصممين و أخيرا مستخدمي تلك الأحياء و المباني . و يلاحظ مع ثقافة الدول النامية بما تشمل الجزائر ضعف الإحساس العام بتلك القيمة ، و يبدو ذلك واضحا في تآكل الثروة العمرانية التراثية نتيجة ضعف عمليات المحافظة و الصيانة على كل من مستوى المناطق و المباني . و الحديث عن ملامح العمارة كمظهر من مظاهر الثقافة المادية – تلك الفروع المتغيرة ، حيث الكثير من الباحثين يؤيد فكرة التهجين العفوي حيث يتفاعل المجتمع دائما مع الأشكال المعمارية لتكوين الذاكرة الجماعية ، و من ثم تصبح تلك الذاكرة الجماعية أداة الإدراك للعمل المعماري ، و من خلال ذلك التفاعل تخضع العناصر المعمارية لعمليات تهذيب مستمرة طبقا لقيم المجتمع و أصوله الثابتة لتكوين المنظومة العمرانية المحلية [1].

و يطغى على المصممين في تصميم العمارات في الوقت الحاضر شكل كبير من تبعية التقليد من الغرب فيما يتعلق بالتكنولوجيا المستخدمة و المفردات المعمارية المستعارة ، و هنا يجب الإشارة إلى أن مصطلح التكنولوجيا قد ذاع استخدام تعريفه بشكل قاصر على أنه

[1] عبد العاطي السيد : المجتمع و الثقافة و الشخصية ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، د/س ، ص 23 .

التقدم العلمي الذي بعبر عن نفسه في تقنيات ، إلا أن المفهوم الشامل لذلك المصطلح لابد و أن يرتبط بقدرة ذلك المجتمع على امتلاك تلك التقنيات و القدرة على استخدامها ، و ذلك من خلال تواجد الصناعات المحلية اللازمة لإنتاج السلع الأولية لتلك التقنيات و وجود مراكز البحث العلمي المرتبطة بعمليات التطوير و التحديث المستمرة ، و كذلك توافر قاعدة الفاءات المهارية و الأيدي العاملة . و عن استخدام المفردات المعمارية التراثية فكثير من النماذج التصميمية تقدم نموذجا لتطبيق خاطئ حيث تتم الاستعارة من مفردات العمارة الغربية بما يعبر عن ضعف المفهوم العام لدى المصمم حتى لأسس المنهج الغربي ذاته ، و في هذا يجب عدم تجاهل أن تلك السطحية في معالجة العمارة و العمران هو الوجه الآخر لسطحية الثقافة المعمارية و المرتبطة بمستوى التعليم و أسلوبه المنفصل بشكل عام عن قضايا المجتمع و أصوله الحضارية . إذ على المصممين إنتاج نماذج معمارية و عمرانية تخدم القيمة المطلوبة منها و تلقى قبول مستخدميها و تلبي احتياجاتهم من ناحية أخرى ، حيث يجب بذل مزيد من الجهد في عمليات النشر المعماري لزيادة الثقافة المعمارية لكل من الأفراد بشكل عام و طلاب العمارة بشكل خاص مع التنويه إلى أهمية عمليات التعريب لسد النقص الواضح في تلك الجزئية الهامة .

(5) (6) نماذج تصميمية مختلفة لأساليب التعامل مع الموروث الحضاري للعمارة الجزائرية .

مصدر : google images

أنواع المساكن الكولونيالية المنجزة في الجزائر :

إن المسكن عنصر هام إن لم نقل هو أهم عناصر الإطار أو المحيط العمراني ، و لقد ترك الاستعمار الفرنسي خلفه مجموعة من المساكن ، و التي صنفتها فاطمة طهراوي في بحثها المعنون بـ " التّحوّلات المرفلوجيّة والوظيفيّة للسّكن وأثارها على المحيط العمراني في الجزائر : حالة مدينة وهران " [1] حسب الفئة التي بنيت لها (فرنسيين أو جزائريين) و النوعية و الحجم : و سنذكرها باختصار على النحو التالي :

1-1- المساكن المنجزة للأوروبيين :

أ- المساكن الجماعية :

أ-1- المساكن الجماعية للفئات المتواضعة في مركز المدينة :

[1] فاطمة طهراوي : التّحوّلات المرفلوجيّة والوظيفيّة للسّكن وأثارها على المحيط العمراني في الجزائر : حالة مدينة وهران ، انسانيات ، عدد 5 ، ماي أوت 1998 .

برمجت هذه المساكن للأسر الأوروبية ذات الدخل المحدود و المتوسطة الحجم ، أغلبها ذات ثلاث غرف و مطبخ لكن دورة المياه مشتركة .

أ-2- المساكن الجماعية ذات الطراز الرَفيع :

شيدت هذه العمارات في الخمسينات للطبقات الاجتماعية الأوروبية الميسورة ، تتسم بهندسة معمارية عصرية شققها واسعة و مريحة .

أ-3- المساكن الجماعية المتواضعة الهامشية :

أنجزت في الخمسينيات للموظفين ، و هي من النوع الاقتصادي .

ب-السكن الفردي :

ب-1- السكن الفردي الراقي :

يتكون هذا السكن من الأحياء الراقية و الأحياء ذات البناء جيد الطراز . و يتميز هذا النوع بسعته و احتوائه على حدائق خلفية و أمامية و كان لا يتجاوز علوه أكثر من طابق ، إذ أثناء الاستعمار كان يمنع الأوروبيون منعا باتا من إضافة أكثر من ذلك كما يمنع البناء في الحديقة .

ب-2- السكن الفردي الكثيف :

كان يتسم هذا النوع من السكن بتجاوز عدة أسر في مبنى يتوسطه بهو ، فيه مجالات للنباتات التزيينية .

2-1- السكن المنجز للجزائريين إبان الاحتلال الفرنسي :

أ- البناء الجماعي :

شيدت العديد من العمارات ذات الطراز المتواضع جدا . و التي تتميز بالضيق و عدم القدرة على استيعاب عدد كبير من الأفراد .

ب- السكن الفردي :

هو سكن برمج لإعادة إسكان سكَان الأحياء القصديرية اللّذين طردوا من قراهم في الفترة الاستعمارية . فهي تعكس النظرة التمييزية للمستعمر لسكان الريف ، حيث خططوا لهم مسكنا بسيطا قابل للتطور و هو عبارة عن بهو محاط بغرفتين ، و مكان في إحدى زواياه مخصص للطهي .

ج- المساكن المشيدة من الجزائريين لأنفسهم :

جلَ هذه المباني من النمط الفردي ، أغلبها تحسَن مظهرها مع تحسين مستوى معيشة الأسر .

الفصل الثاني : علاقة الكولونيالي بالهوية المعمارية : حوار بين السكان و العمارة بمركز المدينة

1- المدينة الجزائرية و إشكالية الهوية

2- التعريف بمدينة مستغانم

3- تقديم مجتمع البحث (وسط المدينة)

4- تجديد العمارات الكولونيالية : ترميم أم إعادة تأهيل ؟

5- علاقة الساكنة بالعمارات الكولونيالية

6- تصورات المارة عن العمارات الكولونيالية

المدينة الجزائرية و إشكالية الهوية :

صاحب النفوذ الاستعماري السياسي للجزائر محاولات عديدة ومتكررة لطمس الهوية العربية الإسلامية للبلاد في شتى المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، و تمثلت إحدى هذه المجالات في العمران بالحرص من طرف الفنيين على استيراد الأساليب العمرانية والمعمارية الأوربية لبناء المساكن والمرافق العامة والمنشآت العسكرية .

بعد الاستقلال ظهر مزيج من الهندسة المعمارية لم يعتمد على نمط موحد . إذ نجد المباني التي ينجزها المواطن البسيط بجانب هندسة المؤسسات الحكومية والمساكن الاجتماعية .

وأدى التنوع والتباين في الهندسة المعمارية إلى غياب سياسة هندسية واضحة ، وبات من الضروري البحث عن هوية هندسية معمارية ذات ملامح مشتركة للمدينة .

و يرى خلف الله بوجمعة في بحثه " المدينة الجزائرية و البحث عن الهوية "[1] أن انتشار ما يسمى بالطراز المعماري الكولونيالي في الجزائر في بداية القرن العشرين و في كل مدن جنوب البحر الأبيض المتوسط آثارا كبيرة في تكريس مبدأ القطيعة مع التراث .

بحيث في العهد الأول من الاستعمار ركز المعمرون على مدينة الجزائر حيث أقترح كوتورو (cotereau)[2] وهو مهندس المدينة آنذاك مخططا يقول عنه " حاولت أن أركز على التناظرات وعلى التوازن داخل المجالات معتمدا على محور رئيسي يتجه نحو فرنسا ... فهذه الأخيرة يجب أن تحافظ على هيمنتها في كل المجالات " . و أستمر تشويه معالم المدينة وربطها بالمحور عن طريق عمران ذو نمط سلطوي أثناء فترة الإمبراطورية الفرنسية الثانية والتي عرفت تحولات هامة في ميدان العمران خاصة في عهد البارون هوسمان (Haussmann) الذي طبع مدينة باريس وبعض المدن الأخرى . وتزامنا ذلك مع إنشاء لجنة خاصة بدراسة تخطيط عمراني بمدينة الجزائر العاصمة عام 1854 . و قد

[1] خلف الله بوجمعة : المدينة الجزائرية و البحث عن الهوية ، بريد المعرفة ، عدد 4 ، الجزائر ، جوان 2003 ، ص 95-101 .

[2] .J .J. DELUZ : L'urbanisme et l'architecture d'Alger, OPU, Alger , 1988 , P12

شجع هذا العامل على بروز نظرة جمالية للمدينة تطغى فيها العوامل الأساسية المحددة للفن المعماري الأوروبي .

وظهرت مباني فخمة تعبر عن قوة المجتمع الاستعماري وعلى تخطي البعد الحضاري للمجتمع الأصلي . وكان محصلة ذلك تبني سياسة عمرانية استعمارية من قبل الماريشال ليوتي (Lyauty) في كل بلدان المغرب العربي . و قامت هذه السياسة الاستعمارية على فكرة الفصل بين القسم العربي الإسلامي للمدينة والقسم الأوروبي منها ، في محاولات للطمس و الاجتثاث ، دون البحث عن أمكانية التأقلم مع المدينة الأصلية والأصيلة التي لا يتناسب أنشاؤها مع متطلبات المعمر الأوروبي .

و في سنة 1900 أصبحت كل معالم المدينة توحي بأنها مدينة أوربية في مجملها ، و في سنة 1931 جاء المخطط العمراني البلدي الذي استمر إنجازه إلى نهاية الحرب العامية الثانية ليعزز المسحة الأوربية للمدينة . فقد اقترح مرافق و استحدث شوارع واسعة وسط الأحياء التي كان يقطنها السكان الأصليين مما تسبب في تغيير معالمها و إفقارها من طابعها المميز و القضاء على الروح الخصوصية فيها . و قد تسبب ذلك في ترحيل آلاف العائلات من المدينة . و في هذا الشأن صرح غازاني (Gazagne) و كان رئيسا لبلدية الجزائر آنذاك عند افتتاحه لبعض مشاريع الإسكان بما يلي " إذا كان السماح بترحيل 20.000 ساكن جريمة ، فإنني أقبل أن أكون المجرم " [1] .

وبعد استقلال الجزائر عن فرنسا في بداية الستينات – ونتيجة لعدة عوامل - استمر الإنتاج العمراني و المعماري في الاستمداد من ثقافة الغرب و قيمه ، مع إهمال كلي لما تبقى من تراث . وهكذا باتت النسج العمرانية العتيقة للمدن تبدو مهلهلة ومحاصرة من كل النواحي بعمارة هجينة انتشرت بشكل متسارع في جسمها ، مما أدى إلى فقد شبه كامل للهوية .

و لم يجد المختصون حلا سوى الاستمرار في تقديم مخططات عمرانية وفق النظرة العالمية ، مما جعلها تبدو وكأنها نسخا معدلة من الإنتاج الغربي الذي تعطى الأولوية فيه للوظيفة

[1] .J .J. DELUZ : L'urbanisme et l'architecture d'Alger مرجع سابق : p 43 .

على وجه الخصوص . وفي هذا الشأن يقول م.مكية [2] " لقد عجزت أجهزة وهيئات التخطيط في سد الفراغ الكبير بين الجوانب الاقتصادية لمشاريع التنمية و التصنيع وبين الوجود الحضاري و مستلزمة بذلك لعدم وجود نظريات وأسس تخطيطية يعتمد عليها وانصاعت لما يظهر في البلاد البعيدة المستغربة ."

ومع بداية الثمانينات ، بدأ يبرز تيار يطبع عمله توجه نحو العودة إلى ألذات والبحث في مكونات التراث بوصفه " تتابع التجربة والقيم الحضارية والاجتماعية و الدينية بين الأجيال ، و التي منها تولدت معاني و قيم و هوية عمرانية ارتبط بها الإنسان "[1] ، عن هوية المدينة الجزائرية ، وذلك بغية المحافظة عليها وتطويرها إن أمكن ذلك . فلا يمكن لأي مجتمع أن ينجز تطورا صحيحا في معزل عن فهم القيم المتعددة ، و المشار إليها سابقا . و بدأ الأمر عند البعض في شكل تساؤلات تعد في حقيقة الأمر رفضا ضمنيا للمشروع العمراني القائم .

و لا ننسى نقطة مهمة ، و هو أن الاستعمار الفرنسي كان تأثيره مختلفا بين المدن الشمالية و الجنوبية ، لدى نحن نخص المدن الشمالية و الساحلية فيما نعنيه بـ " المدينة الجزائرية و إشكالية الهوية " ، بحيث أن المشاهد لا يدرك بأنه أمام كنز معماري تحجبه عمارة غريبة انتشرت في جسم المدينة من جراء مخططات عمرانية صماء لا علاقة لها بالمكان ولا بالمحيط . و كل هذا يعبر عما عانته عمارتنا خلال قرن ونصف من الاحتلال .

فإذا تجولت في وسط مدينة مستغانم (مجتمع البحث) و تأملت العمارات الكولونيالية البارزة فستلاحظ أنها لا تعكس هوية الجزائري الحقيقية ، بل هي تذكير بالمرحلة الكولونيالية التي عاشها البلد ، و تعكس حقيقة أن الجزائر و بعد 56 سنة من الاستقلال لم تخرَج مهندسا واحدا يعطي أو يعيد الطابع الإسلامي للمدينة الجزائرية .

---

[2] م. مكية : الحداثة و التراث - تأثير التنمية في العمارة و التخطيط العمراني ، ندوة دولية اليمن ، 30 ماي 1983 ، ص 43 .

[1] علي الشعيبي : تاثير التراث في مستقبل العمران ، مجلة المهندس ، مجلد 11 ، العدد 01 ، السعودية ، ص 54.

و لقد قسَم " بول فاليري " [1] (paul valèry) الأبنية إلى ثلاثة أنواع في كتاب " مشكلة الفن " للمؤلف زكريا إبراهيم [2]. حيث يرى هنالك أبنية صامتة لا تتكلم ، وأبنية ناطقة تتكلم ، وأبنية صداحة تغني . فالأبنية الصامتة التي لا تتكلم ولا تغني إنما هي أبنية ميتة ، لا تستحق منا إلا الازدراء ، وأما الأبنية المتكلمة فإنها جديرة منا بكل اعتبار، على شرط أن تكون لغتها واضحة فصيحة لا يختلط أمرها حتى على الجاهلين بأصول المعمار . فأبنية المحاكم مثلًا لا بد من أن توحي إلى الناس بمعاني العدالة والصرامة والمساواة ، وأبنية النوادي لابد من أن تبعث في نفوس الناس مشاعر التآلف والتآخي ، وأبنية المعابد لا بد من أن تثير في أفئدة القوم أحاسيس التسامي والعبادة والخشوع ، وأبنية السجون لا بد من أن توحي إلى الناس بمعاني الضيق والحرمان ، وأبنية المسارح لا بد من أن تولد في قلوب الجماهير أحاسيس المشاركة والتذوق والاستمتاع . أما الأبنية الصداحة التي يقول عنها بول فاليري إنها " أبنية الفن وحدها " ، فهي تلك الآثار الرائعة التي تصدح بموسيقى سحرية صافية ، وكأنها هي أنغام سماوية قد صيغت من حجارة ، ولا تكاد تثير فينا أي إحساس بما لها من فائدة أو منفعة ، بل كل ما فيها يصدح بموسيقى خاصة تمزج الجمال بالجلال .

و هكذا يمكننا من خلال تصنيف بول فاليري أن نعتبر العمارات الكولونيالية المدروسة أبنية صامتة لا تستحق منا إلا الازدراء حسب قول الكاتب ، و التي مر عليها الزمن في وقت كانت تتكلم .

و لا نعني التكلم عن الهوية في المدينة الجزائرية بصفة عامة ، بل في نسجها العمرانية العتيقة على وجه التحديد - كما يبدو لنا - نوعا من التقوقع المفعم بالحنين بحيث يصبح بعد ذلك عائقا في وجه التجديد والتمدن و المعاصرة في ظل عولمة تجتاح كل الميادين . فالهدف الأساسي يكمن في محاولة مقاومة التغريب الذي أفقد مدننا خصوصيتها العمرانية وطابعها البيئي المتميز، من جراء ما جرى في هذا الميدان من تقليد لا مدروس وعشوائي

[1] وهو شاعر فرنسي وكاتب مقالات وفيلسوف. لقد كانت أهتمامته تشمل اشياء عديدة لذلك نستطيع أن نصنفه بأنه علامة. بأضافة إلى نظمه الشعر وكتابة الروايات (من مسرحيات ومحاورات). لقد دون العديد من المقالات والحكم في الفن والتاريخ والأدب والموسيقى وأحدث عديدة.

[2] زكريا إبراهيم : مشكلة الفن ،

من طرف المغلوب للعمران والعمارة الغربية بصفتها من ملكيات الغالب [2] . و قد تم كل ذلك في محالة للالتحاق بركب التمدن ومواكبة العصر ودون الالتزام بقواعد وأصول معروفة تكون حلقة وصل بين العمران الأصيل و المتطلبات الجديدة .

" ويلاحظ المختصون اليوم وجود بعض المحاولات هنا وهناك لاستعارة مفردات من التراث العمراني والمعماري مثل القباب والأقواس و الساحة وسط الدار وغيرها ، وذلك بغية إعطاء الانطباع بالانتماء الحضاري و التمسك بالأصالة . فإذا كانت هذه العملية محمودة ، فإنها تبقى غير كافية لضمان حلقة الوصل المفقودة بين موروثنا التراث العمراني و المعماري وإنتاج المجال السوسيوفيزيائي . ومن هنا فإن السؤال الجوهري و الذي ينبغي طرحه هو ما المطلوب ؟. "[1]

[2] استعمل هذه العبارة ابن خلدون في مقدمته وعبر عنها مالك بن نبي و آخرون بصيغ مختلفة .

[1] خلف الله بوجمعة : المدينة الجزائرية و البحث عن الهوية ، مرجع سابق ، ص 100

التعريف بمدينة مستغانم :

تقع ولايـة مستغانم في الشمال الغربي من الوطن ، تغطي مساحة قدرها 2269 كلم^2 [1]و يحدها من الشرق ولايتي الشلف و غليزان ، الجنوب ولايتي غليزان و معسكر الغرب ولايتي معسكر و وهران ، و الشمال البحر الأبيض المتوسـط .

إن موقع مدينة مستغانم على ساحل البحر المتوسط يجعلها تتأثر إلى حد بعيد بمناخه الذي يعتبر مناخ معتدل الحرارة ، رطب صيفا ، متوسط المعدل السنوي لدرجة الحرارة هو18 °، بالقرب من الساحل و 24° في الداخل ، دافئ ممطر شتاءً و نسبة تساقط الأمطار غير منتظمة تصل ما بين250 ملم و400 ملم سنويا [2].

أما الغطاء النباتي فهو غطاء غني نجد به أراضي خصبة جمعت بين الزراعة بمختلف أنواعها خاصة الكروم التي تشتهر بها مدينة مستغانم ، وكان للاجئين الأندلسيين مع مطلع القرن 17 م ، دور كبير في استصلاح الكثير من الأراضي الزراعية وإثرائها بأنواع مختلفة من الزراعات التي لم تكن تزرع بالمدينة قبل ذلك ، وذلك بشهادة (الفرنسيين الأوائل سنة 1830)

أما المدينة فهي مبنية على هضبة ترتفع ب 85م، عن مستوى سطح البحر،وتبعد بمسافة تقارب 1 كلم عنه ،وتبعد عن مصب وادي شلف من الغرب بحوالي 15 كلم ، ويقطعها من الداخل وادي عين الصفراء .[3]

<u>بلدية مستغانم :</u>

أما بلدية مستغانم ، "فتتكون من مدينة جديدة و مدينة قديمة يربط بينهما واد عين الصفراء"[4] .

---

[1] منتديات بوابة الونشريس ، بطاقة عن مدينة مستغانم ، https://www.ouarsenis.com/vb/showthread.php?t=27620

[2] بلجوزي بو عبد الله : دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم ، رسالة ماجستير ، معهد الآثار جامعة الجزائر ، الجزائر ، 2005 – 2006 ، ص 13 .

[3] المرجع نفسه ، ص 12 .

أما عدد السكان فقدر بـ 151664 نسمة ، و البطالة فيها بنسبة 9.87% أي 7938 بطال .

و كثافة السكان تتروح بين 2914 شخص في الكلم^2 ، و يقدر عدد أحيائها بـ 117 حي[1] .

و ولاية مستغانم تتكون من 10 دوائر و 32 بلدية .

(7) بلديات ولاية مستغانم

المصدر : google images

(8) الموقع الجغرافي لبلدية مستغانم

المصدر : google images

(9) صورة لبلدية مستغانم من خلال القمر الصناعي

المصدر : google maps

[4] رشيد فقير : دور الإذاعة المحلية في التنشئة السياسية – إذاعة مستغانم نموذجا ، رسالة ماستر ، كلا الجزائر ، ص 147.

[1] فقير عبد الله ، تملك الفضاء العام عند الباعة في السوق – سوق عين تادلس أنموذجا ، رسالة ماستر ، كلية العلوم الاجتمعية ، جامعة عبد الحميد أبن باديس مستغانم ، الجزائر ، 2016-2017 ، ص 73 .

تقديم مجتمع البحث (وسط المدينة) :

حي " غبريني أبا " من الأحياء القديمة و المعروفة في مدينة مستغانم ، و الذي يعود إلى الفترة الاستعمارية ، حيث هو يتوسَط المدينة . يحدَه شمالا الجامعة المركزية و المعروفة بـ " L'ita " ، و من الغرب مركز إتصالات الجزائر ، و جنوبا شارع خميستي محمد ، و من الشرق شارع ساتال جيلالي .

و شوارع وسط المدينة واسعة ، و يرى المتجول فيها مجموعة من العمارات القديمة و التي بنيت وقت الاستعمار .

(10) صورة لأحد الأحياء وسط المدينة تظهر بعض العمارات بعد عملية إعادة التأهيل

من إعداد الباحث

و هذه العمارات الكولونيالية ما يميزها أنها مبنية من الآجر و الاسمنت المسلح ، تتكون من ثلاثة طوابق ، بها نظام شقق ذات النوافذ المفتوحة على الخارج و شرفات واسعة ، و يتضح التنسيق في نظام الشقق بوجود البيوت المتعددَة التي تفصلها عن بعضها ممرات ، و بوجود الحمام و المطبخ و دورة المياه ، كما أن الجدران تكون مبطَنة بالاسمنت و مدهونة بالألوان الزيتية ، كما تتوفَر على شبكة لتوزيع المياه الصالحة للشرب و أخرى للغاز و الكهرباء و المجاري .

أما واجهات هذه العمارات فتتميز بكثرة نوافذها و كبر الشرفات المطلة على الشارع و التي لاحظنا أنها غالبا ما تكون مغلقة تشجيعا للحياة المنعزلة و المنغلقة و حفاظا على خصوصية الحياة داخل المساكن ، و كل عمارة لها لونها الخاص إما لونها الأصلي أو مقترح من طرف المختصين [1] ، و التي كانت مزرية قبل عملية إعادة التأهيل . و توجد عمارات لم ينته العمل فيها بعد .

و أيضا من خصوصيات هذه العمارات أن الطابق الأرضي مخصص للتجارة ، إذ هو عبارة عن مجموعة من المحلات التجارية المتراصة .

و الشوارع تتميز بالازدحام أغلب الوقت ، لا تسمح للمار بالوقوف عندها بحيث طوال النهار حركة كثيفة من المارة و السيارات ، و الطرق مزودة بالمرافق الضرورية كالإنارة و مكان الفضلات .

(11) صورة تظهر إتساع الشارع و ازدحامه بالسيارات و المارة

من إعداد الباحث

[1] حيث أن المهندسين كانوا يعيدون طلاء واجهات العمارات مثل لونها الأصلي ، و التي لم يستطيعوا معرفة لونها الأصلي يقترحون لونا يتناسب مع المظهر العام للشارع .

تجديد العمارات الكولونيالية : ترميم أم إعادة تأهيل ؟

منذ اللحظة الأولى لنزولنا للميدان و قيامنا بالملاحظات و المقابلات مع المبحوثين ، كنا مركزا على أن هذه العملية التي يقومون بها هي ترميم للعمارات القديمة ، و لكن في الميدان و أثناء البحث وجدت مفاهيم أخرى كالصيانة و إعادة التأهيل .

فـ " الترميم " restauration و " الصيانة " conservation و " الحفظ " préservation كلها مفاهيم متقاربة " فالترميم هو إصلاح الأثر ، أما الحفظ فهو الحماية المسبقة للأثر عن طريق إتباع مجموعة من الإجراءات لمنع وصول عوامل التلف إليه (مثل إبعاد مصادر الرطوبة عنه ، إبعاد الحشرات ...) و ذلك للحفاظ عليه بحالة جيدة ، و الصيانة تعني الحفظ الدائم للأثر ، أي متابعة تلك الإجراءات المذكورة (الصيانة الدورية و التنظيف) "[1]

أما مصطلح إعادة التأهيل réhabilitation فهو يعني " إعادة صياغة المباني التاريخية لتؤدي وظيفتها بطريقة أفضل أو بصورة متطورة ... ، حيث تسمح بوجود حرية في العمل مع احترام الطابع التاريخي ، و عادة ما تكون المعالجة داخلية و خارجية ، كما يمكن أن يتم تغيير الفراغ الداخلي للمباني بطريقة جذرية حتى يتأقلم مع الاحتياجات و المتطلبات الحديثة و المعاصرة مثل الراحة و الأمان ... ، أي إعادة كل شيء تالف أو متدهور داخل و خارج المبنى ليس إلى حالته السابقة فقط بل يستدعي ذلك إلى مستوى أعلى في الأداء عن طريق إضافات هامة و ضرورية كشيكات الاتصال الإلكترونية و شبكات التحكم في المداخل و المخارج و شبكات مقاومة الحريق و التجهيزات الصَوتية و تجهيزات التهوية و التدفئة "[2] "على أن يتم ذلك كله أو بعضه مع الاحتفاظ بالقيم المعمارية و التاريخية و الجمالية و الوظيفية للمبنى لتعبر بقوة عن ماضيه و تاريخه و قيمته الحضارية و الثقافية "[1] .

---

[1] منتدى الموسوعة العربية https://WWW.arab-ency.com/-/details,artifacts,php?full=18nid=166063

[2] مفهوم استخدام المباني الأثرية https://WWW.academia.edu/21706940/

[1] الباز : التعامل مع عناصر العمارة الداخلية في مشاريع إعادة توظيف المباني ذات القيمة ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، مصر ، 2006 ، ص 37-38

و من خلال هذه التعريفات ، تبيَن مفهوم هذه العملية التي تقام في وسط المدينة للعمارات الكولونيالية ، و أيضا بعد حدَثنا أحد المهندسين المعماريين (مقابلة رقم 4) " هذه العملية ليست ترميم و إنما هي إعادة تأهيل " ، إذ هذه العملية هي عملية إعادة تأهيل ، و لكن ليست بمعنى الكامل للكلمة ، فإعادة التأهيل تكون للمباني المصنفة على أنها آثار .

و كان الهدف من إعادة تأهيل هذه العمارات الكولونيالية هو :

1- قدم هذه العمارات ، حيث أنها بنيت ما بين 1910م – 1930م ، أي أن عمرها يقارب القرن ، و حسب الاتفاقيات الدولية المعمول بها ، فإن العمر الافتراضي للعمارات هو 50 سنة [2].

2- تواجدها في وسط المدينة و الذي يعتبر مركزها و قلبها النابض ، فهو معروف بالطابع التجاري و كثرة النشاط و الحركة فيه أثناء النهار ، بالإضافة إلى أنه يمثل واجهة المدينة بالنسبة لسكانها و المارة و السياح [3].

(12) صورة تظهر أحد العمارات الكولونيالية القديمة و التي لم يتم إعادة تأهيلها بعد .

من إعداد الباحث

[2] اذا تم تشييدها بطريقة تراعي امن المواد الإنشائية وغيرها من مواد الداخلة فيها وبالاضافة لتنفيذ هذه المباني المطابق للشروط و مراعاة عدم إجراء إصلاحات طوال هذه الفترة .

[3] و هذا ما وجدناه في كلام المبحوثين إذ يرون أن مستغانم جمالها يزداد بجمالية هذه العمارات بعد عملية إعادة تأهيلها و الذي هو موجه للسائح و الغريب ليكون منبهرا و تثمن هذه العمارات .

3- كان هناك إجماع في كلام المبحوثين (المارَة و سكان العمارات) أنها أصبحت قديمة و اهترأت و تدهور الكثير من أجزائها ، و الواجهات و الشرفات أصبحت تهدد حياة ساكنيها و المارة مثل ما جاء في قول أحد المبحوثين " الترميم حاجة مليحة و les balcons كانوا يطيحوا و أصلحوهم " مقابلة رقم 16 .

4- في إعادة تأهيل هذه العمارات ، تم تجهيز الأروقة الداخلية و السلالم بالإنارة الذكية و التي تنير آليا عند مرور شخص .

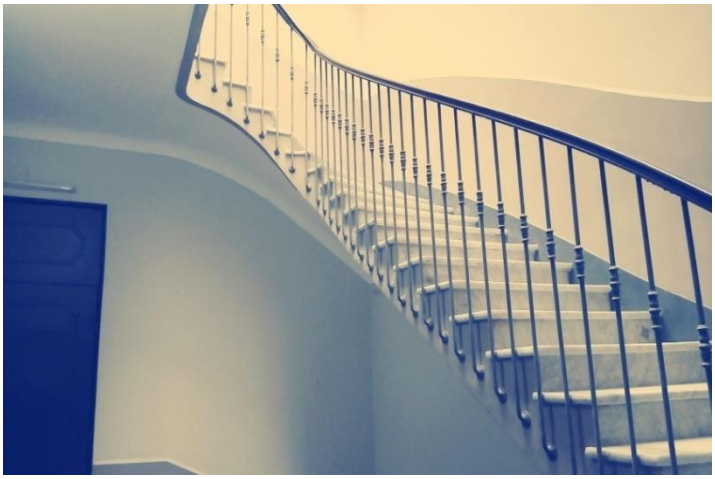

(13) (14) الصورتين تظهر شكل السلالم و الرواق داخل أحد العمارات التي تمت إعادة تأهيلها .

من إعداد الباحث

و بالنسبة لسكان العمارة و المارة (الذين لا يسكونها) ، كان هناك إجماع على أن هذه العملية " إعادة التأهيل " أمر جيد للمدينة و سيزيدها جمالا ، بحيث هم يريدون أن تكون مدينة مستغانم جميلة، و أي خطوة أو عمل في هذا المجال سيستحسنه المواطنون و يثمننه . و هذا يدل على صحة الفرضية الأولى الموسومة بـ " ترميم العمارات الكولونيالية موضوع يمس كلا من الساكنة و المارة " .

و فيما يخص جمال المدينة الجزائرية ، " عندما حاولت الجزائر تهذيب فوضى العمران و إعطاء الجانب الجمالي لهذه البنايات ، ألزمت الحكومة كل ملاك السكنات بإتمام سكناتهم و تشييد واجهاتها ، و أصدرت وزارة السَكن لأجل هذا القانون رقم 08/15 الصادر في 20 جويلية 2008 و المتعلق بإتمام كل السكنات في فترة لا تتعدى تاريخ 19 جويلية 2013 "[1].

و لكن حتى الآن ما زالت الفوضى العمرانية و الإخلال بالمظهر العام للمدن منتشرا .

[1] عبد الحميد بوداود ، 2 مليون عمارة فرنسية تصنع الهوية العمرانية للجزائر https://www.vitaminedz.com/2-%D9%85%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B5%D9%86%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9/Articles_18300_513224_0_1.html

علاقة الساكنة بالعمارات الكولونيالية :

إن علاقة الساكن بمسكنه تختلف من فرد لآخر باختلاف التنظيم الفضائي للسكن حسب تصوَراتهم و تمثلاتهم ، إذ أن الفضاء السكني ينقسم إلى مجالين ، الأول يظم قاعة الضيوف و هو مرئي إذ يطلق عليه اسم الصَالة و هو مخصص للأهل و ضيوف ، أما المجال الثاني فهو مخصص للمرأة تتحرك فيه بكل حرية ، يمنع على الرجال دخوله احتراما له و لحرمة المرأة ، و يضم غرفة النوم و المطبخ و هو مجال غير مرئي . و هذا التقسيم ناتج عن تصورات الساكنة و هو ضروري يحافظ على حميمية الحياة العائلية [1].

و تعتبر مدة إقامة المبحوثين بهذه الشقق الكولونيالية الحالية متغير هام لتوضيح علاقته بفضائه السكني و مدى اندماجه في وسط الحي عموما ، و عليه وجدنا أغلب المبحوثين يسكنون هذه العمارات منذ أكثر من 30 سنة ، و يمكن اعتبارها مدة كافية لكي يتكيَفوا مع هذه الشقق الجاهزة ، الأمر الذي يجعلهم يحاولون باستمرار تحسينها بما يتوافق و تصوراتهم و رغباتهم و احتياجاتهم .

و اقاماتهم السابقة كانت في " تيجديت " و " الحريَة " و التي تعتبر جزء من المدينة القديمة [2] ، و بالتحديد مساكن تقليدية (حوش) لم يتعوذ أصحابها على العيش على شقق بالعمارات ، إلا مبحوثين و هما زوجين كنا يسكنان في سكنات معتدلة الإيجار (HLM) و هي عمارات قديمة منذ وقت الاستعمار ، أي أن لهما تجربة سابقة مع السكن الكولونيالي . و المبحوثين يرون أنفسهم أن لهم الأحقية و الأولوية في السكن في هذه العمارات بسبب قدمهم في المدينة القديمة ، حيث أخبرنا أحد المبحوثين قائلا " كنا نسكنو في تيجديت ، و حنايا ولاد البلاد ، مين دينا الحريَة باه دخلنا لهاد les appartement " مقابلة رقم 16 .

و هذه الشقق تحمل خصائص و مميزات كملكيتها و حالتها و مدى توفرها على التجهيزات الضرورية ، فكلها تؤثر على ممارسات الساكن داخلها . و هكذا قسمنا الشقق التي قمنا

[1] هذه السمات تعتبر من خصائص الأسرة الجزائرية الحديثة ، أنظر مرجع حنان مالكي : الخصائص السوسيولوجية للأسرة الجزائرية – التقليدية و الحديثة - ، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 22 ، بسكرة ، جوان 2011 ، ص 47-49 .

[2] بلجوزي بو عبد الله : دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم ، مرجع سابق ، ص 43 .

بزاياتها في المعاينة الميدانية من حيث حالتها إلى رديئة و جيدة ، و ذلك من خلال عاملين و هما مستوى التعليمي للمبحوثين و شكل ملكية هذه الشقق (مملوكة ، مؤجرة ، موروثة ...) . فالشقق الجيدة كانت ملكا لساكنيها سواء اشتروها أو ورثوها ، فهي تؤدي وظيفتها السكنية على أحسن وجه ، و فيها أغلب التجهيزات الضرورية ، و أصحابها لديهم مستوى دراسي ثانوي أو أكثر ، و رتب مهنية مرتفعة و مداخل ثابتة ، يرونها مناسبة مما يساعدهم على تحسين مساكنهم . أما الشقق الرديئة فتتطلب التجديد ، و الجدران مشققة لاحظناها في الرواق و عند المدخل ، و السبب في هذا أن هذه الشقق يشترك فيها ورثة ، لهم دخل قليل لا يلبي حاجاتهم اليومية الأساسية مما يؤثر على حالة البنيان و تعرضه للهشاشة بسبب الإهمال . و إن عدم اهتمام السكان بفضاءاتهم السكنية يرجعونه إلى عدم امتلاكهم له ، فعلى حد تعبيراتهم هو مؤقت و ليس دائم مهما طالت مدة إقامتهم بها سيأتي يوم و يغادرونها ، فعدم ملكية المسكن لا يحفز الساكن على تحسينه و تعديل تجهيزاته الداخلية ، و هذا حسب قول أحد المبحوثين " و هاذ البيت كيما جيت سكنت راه قاعد ما بدلنا والو ... فيها واراثا ، حتى ولادي قالولي نكبرو كوزينة و نغلقوا ديبارة و أنا مابغيتش " مقابلة رقم 16 .

و أحدث المبحوثين تحويلات كان الهدف منها توسيع أو إضافة غرفة ، حتى على حساب التخلص من التجهيزات المجالية الأخرى كشرفة و الحمام ، فهم قاموا بتكبير المطبخ أو وجدوه موسَعا و على حساب الغرف الأخرى ، لأن المسكن الكولونيالي في الأصل مجهز بمطبخ صغير يتناسب مع ثقافة الساكن الغربي ، و السبب في تكبيره لأنه فضاء خاص بالمرأة ، حيث قال أحد المبحوثين " ... و الكوزينة عاودتها لأن تاع بكري صغيرة " مقابلة رقم 14 . و تجهيزاته تقتصر على أدوات المطبخ . و غرفة الضيوف كانت هي الغرفة التي تقابلك مباشرة عند دخولك الشقة .

و كانت هناك تغييرات أخرى تمثلت في التدخلات الطفيفة التي مست الفضاء الداخلي للشقق دون تغيير تركيبتها و بنيتها الداخلية ، من خلال المساهمة في تحسين حالتها بترميمها و صيانتها ، و تمثلت هذه التعديلات في طلاء الغرف إضافة إلى تجديد الأبواب و النوافذ ،

كما جاء في مقابلة أحد المبحوثين : " أغلقنا الشيميلي و أعدنا طلاء البيت و حذفنا بعض الزوائد من الجدران و كبَرنا المطبخ " مقابلة رقم 10 .

علاقات الجيرة :

علاقات الجيرة في هذه العمارات الكولونيالية تتميز بالطيبة و الاحترام ، نظرا لخصوصية العمارات التي نصف شققها مغلقة أو مؤجرة لمحامين و إدارات ، و هذا يحول الى أن فرص التقاء الجيران في السلالم و عند مدخل العمارة تكون قليلة أو نادرة ، و هذا جعل هذه العمارات تتسم بالهدوء في أغلب الوقت أثناء النهار ، لهذا وجدنا أن أغلب المبحوثين يجدون راحتهم في هذه الشقق ، و أنهم مع الوقت ألفوا ضجيج الشارع و أصبح أمرا عاديا على حسب قول أحد المبحوثين " واجهنا في البداية ضجيج السيَارات و مع الوقت والفناه . و أغلب الوقت هناك في العمارة " مقابلة رقم 12 .

و بالنسبة للفروق بين المسكن العادي و الكولونيالي ، فالمبحوثين يرون أن أهم اختلاف يكون في الحريَة ، إذ حسب خطابهم فهذه المساكن الكولونيالية تجعلك مقيدا و لا تسمح لك بعمل العديد من المهام مثل الطرق و الأفعال التي تصدر الأصوات العالية .[1] عكس السكن العادي (الحوش) الذي عاش فيه أغلب المبحوثين من قبل و تربطهم به تجربة سابقة ، فهم يفضلونه عن الشقة ، لكن لا يستطيعون العودة إليه نظرا لعدة ظروف أهمها الظروف المادية لا تساعد و تواجد مكان العمل في المدينة .

و قد أعجب السكان بعملية إعادة التأهيل و استحسنوها لما فيها من فائدة لهم ، حيث كانوا يعانون الكثير من المشاكل مثل تصدع الشرفات و الجدران و غيرها ، حيث قال أحدهم " الترميم حاجة مليحة و les balcons كانوا يطيحوا و سقموهم " مقابلة رقم 16 . و أثناء العملية عان السكان بعض المشاكل التي تمثلت في الضجيج الزائد من طرف العمال و

[1] العمارات الكولونيالية تسكنها العديد من العائلات و هذا يحد من حرية الأفراد و الأفعال التي يستطيعون القيام بها فمثلا لا تستطيع رفع صوت الموسيقى الذي يزعج من يسكنون في الطوابق الأخرى ...

خصوصا بعد الزوال و هي الفترة التي يأخذ فيها بعض السكان قيلولتهم و أيضا تصدع بعض الجدران نظرا لقدم العمارات .

و كان مظهر العمارات بعد عملية إعادة التأهيل جيدا و مقبولا من طرف السكان ، إذ أنهم رأوا فيه جمال مستغانم بحيث كلما حسن زادت مدينة مستغانم جمالية ، بحيث كان مطلب بعض السكان هو الاعتناء بهذه العمارات المعاد تأهيلها ، و عدم نشر الملابس في الشرفات و الاعتناء **الأجزاء** المشتركة مثل السلالم و الواجهات الخارجية و السطوح و المدخل الرئيسي " بحيث لم يعهد السكان من قبل هذه الحالة القانونية لحيازة المساكن و لم يتعودوا بعد على تسييرها "[1].

و تكررت عبارة " يليق حنا " في خطاب المبحوثين أثناء تكلمهم عن العمارات الكولونيالية و عملية إعادة التأهيل و ضرورة المحافظة عليها ، و هذا يدل على أنهم ينسبون هذه المساكن إليهم ، و ليس على أنها شقق كولونيالية يسكنونها ، و أيضا هم لم يتكلموا عن المستعمر الفرنسي و الذي كان غائبا في خطابهم .

و بعد مناقشة علاقة الساكنة بالعمارات الكولونيالية تتضح صحة الفرضية الثانية و هي" المساكن في العمارات الكولونيالية معاشة بطريقة تقليدية و غير متمثلة من طرف ساكنيها "

فتصرفات الأفراد و ممارساتهم داخل هذه الشقق تؤكد أهمية الحفاظ على حرمة المسكن و صيانة مكانة المرأة داخله بحجبها عن أنظار الغرباء و يظهر ذلك في السترات المقامة على النوافذ و أبواب غرف استقبال الضيوف . و هذا يعود إلى الحياة الريفية التي عاشها الأفراد من قبل و التي أصبحت جزءا من هويتهم .

[1] فاطمة طهراوي : التّحوّلات المرفلوجيّة والوظيفيّة للسّكن وأثارها على المحيط العمراني في الجزائر : حالة مدينة وهران ، إنسانيات ، عدد 5 ، ماي-أوت 1998 ، ص 17 .

تمثلات المارة للعمارات الكولونيالية :

يرى الباحث الاجتماعي R . ledrut ، أن المدينة معاش فردي ، أي أن كل فرد يراها من منظوره الخاص ، و كل شخص يعيشها بطريقته الخاصة [1] ، و هذا يعني أن مفهوم المدينة يختلف في ذهنيات الأفراد و مجموعها يعطي الصورة الكاملة للمدينة . و في هذا البحث ركّزنا على كيفية تصوَر الأفراد [2] للمدينة من خلال العمارات الكولونيالية و عملية إعادة تأهيلها .

وجدنا أن المبحوثين (المارة) يعتبرون هذه العمارات الكولونيالية تراثا و عمرانا قديما يجب المحافظة عليه و ترميمه ، و هذا نظرا لقدم هذه العمارات التي بنيت قبل 1930 م و التي كانت متصدَعة قبل عملية إعادة تأهيلها ، بحيث قال أحد المبحوثين في هذه النقطة " أراها من تراث مدينة مستغانم لأنهم بنوهم قديما وقت الإستعمار ... " مقابلة رقم 6 .

و بالنسبة لعملية إعادة التأهيل فلقد أعجب بها المارة ، بحيث هم أرادوا أن تكون مدينة مستغانم جميلة بمثابة جمالية تلك العمارات ، إذ قال أحد المبحوثين " هي أمر إيجابي بحيث المدينة تزيدها جمالا " المقابلة رقم 1 ، إذ رأى المبحوثين أنها ستجلب مزيدا من السياح الى مدينة مستغانم و هذه العمارات الكولونيالية تمثل صورة عن مدينة مستغانم ، و بالتالي كلما حسنت يستشعرون جمالية أفضل للمدينة التي تعبَر عنهم ، فهذه العمارات الكولونيالية ونظرا تموقعها في وسط المدينة و اتساع الشوارع تفرض نفسها للعيان ، فلا يمكن للمارَ عليها أن لا يلاحظها و خصوصا بعد عملية إعادة تأهيلها ، و ما أدى إلى زيادة أهميتها و دمجها بصورة مستغانم ، و أصبحت مرآة تعكس جمال المدينة .

و وجدنا أراء مختلفة و متباينة ، فمن المبحوثين من اعتبر هذه العمارات الكولونيالية جزء من تاريخ المدينة و تراثها ، و آخرون اعتبروها جزء من التاريخ المادي للمدينة و اجتماعيا أقصوها لأنها لم تبنى بإرادتهم و أيديهم بل هي لمستعمر كان في حقبة مضت هنا

[1] محاضرات مقياس سوسيولوجية المدينة ، ماستر 1 علم الاجتماع الحضري ، للمزيد أنظر مرجع Raymond Ledrut, Les images de la ville. Paris, Ed. Anthropos, 1973

[2] أقصد بالأفراد الأشخاص الذين يكونون في المدينة أثناء النهار

، و هذا يدل على أن هذه العمارات الكولونيالية هي نموذج حاضر يمثل صورة مركَبة بين جمالية هذه العمارات بعد إعادة تأهيلها ، و تذكيرها بالمستعمر الفرنسي .

في مركز المدينة ، هذه العمارات لا توظف كمعالم [1] ، و لكن عملية إعادة التأهيل جعلتها مميَزة بسبب العمارة نفسها و تصميمها المتقن . في حين أننا و جدنا بعض المبحوثين قد اكتشفوا وجود العمارات نفسها بعد عملية إعادة التأهيل .

و بعد مناقشة تصوَرات المارة عن العمارات الكولونيالية المدروسة تبين عدم صحة الفرضية الثالثة و الموسومة بـ " إعادة تأهيل عمارات مركز المدينة يعيد لها دورها كجزء من المعالم التي تصنع صورة مستغانم " . فهذه العمارات لا توظف كمعالم مهمة في المدينة ، بل ما يميزها جمالها الذي أعيد إحياءه بعملية إعادة تأهيلها .

[1] نجد أن هناك تعامل مختلف مع ما يمكن تسميته بالمعالم المادية لمركز المدينة ، بحيث أنه و على خلاف العمارات المدروسة نجد توظيف لمى يسمى (ب l'ita ، Algérie télécom ،...) في كلام سكان المدينة .

خاتمة :

إن العمارات الكولونيالية وسط المدينة لم تكن ظاهرة للعيان ، و إعادة تأهيلها جعلها حية و أرجع لها جمالها الذي فُقِد مع مرور الزمن ، و تكيف الأفراد معها اختلف باختلاف الأفراد ذاتهم ، فكان سهلا و سريعا للذين أتوا من مناطق حضرية و اعتادوا على السكن بالشقق ، و بطيئا للذين أتوا من المناطق الريفية و ألفوا السكن التقليدي (الحوش) ، و اختلفت أسباب مجيئهم بين الاختياري و السبب الوظيفي .

و أكثر الفضاءات التي مستها التغيرات و التعديلات هو المطبخ الذي يعتبر مهما في ثقافة الأسرة الجزائرية . كما أنّ تصرفات السكان وممارساتهم داخل الفضائات السكنية تؤكد أهمية الحفاظ على حرمة المسكن وصيانة مكانة المرأة داخله بحجبها عن أنظار الغرباء ، و يظهر ذلك في الستارات المقامة على النوافذ و بأبواب غرف استقبال الضيوف و إلغاء الشرفات .

و بالنسبة لبعض الأفراد فكانت هذه الشقق تعبر عن مرحلة عبور ، نظرا لعامل كبر الأسر و ضيق هذه الشقق و الظروف المادية ، فالكل يصبوا إلى منزل يتلائم مع احتياجاتهم و نمط معيشتهم .

و التغيير في المسكن لا يقتصر على الكولونيالي فقط بل أصبح يشمل المساكن المنجزة حاليا من قبل الدولة ، وهذا ما يعكس رغبة الجزائري المتواصلة في التغيير التي أصبحت في الوقت الحالي مرجعية ثقافية .

و بالنسبة للأفراد الذين يرون هذه العمارات الكولونيالية من الخارج فقط ، فهم يجدون العمارات الكولونيالية المعاد تأهيلها جميلة و تزيد المدينة جمالا بسبب تصميمها المميز و المتقن و تواجدها في وسط المدينة ، و مثلت عند البعض نموذج حاضر يمثل صورة مركَبة بين جمالية هذه العمارات بعد إعادة تأهيلها ، و تذكيرها بالمستعمر الفرنسي .و بالنسبة لنا فقد توقف الوقت عند هذه العمارات الكولونيالية ، فهي في الأصل تعبر عن ثقافة غربية ، و

في الواقع عن ثقافة غريبة فرضت علينا ، فالمتجول في وسط المدينة سيرى العمارات الكولونيالية مصطفة ، و القليل جدا من العمران الإسلامي و العثماني الذي يذكره بأنه في مدينة عربية إسلامية ، و هذا يجعلنا نلاحظ الهوة الكبيرة بين الموروث العمراني الذي فقد قبل الاستعمار و ما يبنى الآن من العمارات المهجنة و المأخوذة من النموذج الغربي ، فلم يحاول أحد إحياء العمارة الإسلامية و العثمانية الأصيلة ، أو حتى الحفاظ على آثارها مثل ما يوجد في حي الطبانة و الدَرب و غيرها ، و هذا بالتأقلم مع المشروع العمراني القائم حاليا ، و المتمثل في مخطط شغل الأراضي ومخطط التوجيهي للتهيئة التعمير.

1- دليل المقابلة الخاص بسكان العمارات الكولونيالية :

- منذ متى و أنت تسكن هنا ؟

- أين كنت تسكن من قبل حوش ، شقة ، ... ؟

- هل الشقة ملكك أو مؤجرة ... ؟

- هل أحدث تغييرا في هذه الشقة ؟ فيما تمثل هذا التغيير ؟

- كيف هي علاقتك بجيرانك ؟

- هل أنت مرتاح في السكن بهذا الحي ؟

- هل تجد فرق بين السّكن العادي (الحوش) و الكولونيالي ؟

- ما رأيك في عملية ترميم العمارات الكولونيالية ؟

- هل استشاروك قبل عملية الترميم ؟

- هل عانيت مشاكل أثناء عملية الترميم ؟ ما هي نوعية هذه المشاكل ؟

- ما رأيك في مظهر العمارات بعد عملية الترميم ؟ و هل أنت راض عنه ؟

2 - دليل المقابلة الخص بالمارّة :

- أين تسكن ؟

- هل تأتي إلى مركز المدينة يوميا أو مرات ... ؟

- كيف ترى العمارات وسط المدينة ؟

- ما رأيك في عملية الترميم ؟

- هل أنت راض عن مظهر العمارات بعد عملية الترميم ؟

- هل تعتبرها جزء من تاريخ مدينة مستغانم ؟ لماذا ؟

- هل تعلم بأن فرنسا من بنت هذه العمارات و كان سكانها فرنسيون قبل الاستقلال ؟ ما رأيك في ذلك ؟

3 - بعض المعلومات حول المبحوثين :

	رقم المبحوث	السن (سنة)	الجنس	الحالة الاجتماعية	الوظيفة
المارّة	1	26	أنثى	عزباء	طالبة
	2	24	أنثى	عزباء	طالبة
	3	23	أنثى	عزباء	طالبة
	4	26	ذكر	أعزب	مهندس معماري
	5	56	ذكر	متزوج	حارس
	6	19	ذكر	أعزب	طالب
	7	26	ذكر	أعزب	مهندس معماري
	8	25	ذكر	أعزب	ممرض
سكان العمارات	9	55	ذكر	/	لا يعمل
	10	27	ذكر	أعزب	طالب
	11	/	ذكر	متزوج	عامل بأجر يومي
	12	58	أنثى	متزوجة	متقاعدة
	13	55	أنثى	متزوجة	لا تعمل
	14	70	ذكر	كتزوج	متقاعد
	15	63	ذكر	متزوج	متقاعد
	16	61	أنثى	متزوجة	لا تعمل

- المراجع باللغة العربية :

1- محمد الهاوي عروق : مدينة قسنطينة : دراسة في جغرافية العمران ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د/ط ، 1984

2- علي سالم شواورة : جغرافية المدن ، دار الميسرة للنشر و التوزيع ، عمان ، ط$_1$ ، 2002 .

3- سليماني جميلة : دراسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي ، دار الهومة ، الجزائر ، د/ط ، 2011 .

4- احمد صبور : المعرفة و السلطة في المجتمع العربي ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1959.

5- سلوى محمد سعيد :الإسكان 'المسكن'البيئة ، دار الشروق ، جدة ، السعودية ، 1986 .

6- غاستون باشلار : جماليات المكان ، ترجمة غالب هالسا ، دار المجد ، بيروت ، د/ط ، 1987 .

7- لوجلي صالح الزوي : علم الاجتماع الحضري ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 2002 .

8- محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الأزريطة الإسكندرية ، 1995 .

9- قيس النوري : الأنثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، الأردن ، ط$_1$ ، 2001 .

10- القصير ع : الأسرة النتغيرة في مجتمع المدينة العربية (دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري ة الأسري) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1999 .

11- شيرين إحسان شيرزاد : لمحات من تاريخ العمارة و الحركات المعمارية وروادها ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، د/ط ، 2002 .

12- هشام شرابي : مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، منشورات صلاح الدين ، القدس ، فلسطين ، د/ط ، 1975 .

13- مصطفى بوتفنوشت ، ترجمة أحمد دمري : العائلة الجزائرية (التطور و الخصائص الحديثة) ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، الجزائر ، 1984 .

14- محمد السويدي : مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1990 .

15- عمار هلال : أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 .

16- زكي نجيب محمود : هذا العصر و ثقافته ، دار الشروق ، مصر ، 1980 .

17- عبد العاطي السيد : المجتمع و الثقافة و الشخصية ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، د/س .

- الرسائل :

1- دحمان خديجة : العمارة الكولونيالية في الجزائر بين التغير و التكيَف ، رسالة ماستر ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم ، الجزائر ، 2013 .

2- دحمان خديجة : المسكن الكولونيالي في الجزائر بين التغير و التكيف ، رسالة ماستر ، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ، الجزائر ، 2012 .

3- خليفة عبد القادر : تحولات البنى الاجتماعية و علاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، 2010-2011 .

4- بلجوزي بو عبد الله : دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم ، رسالة ماجستير ، معهد الآثار جامعة الجزائر ، الجزائر ، 2005 – 2006

5- الباز : التعامل مع عناصر العمارة الداخلية في مشاريع إعادة توظيف المباني ذات القيمة ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، مصر ، 2006 .

- المقالات :

1- أحمد بوذراع : منهج دراسة الحالة في العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، مجلة الإحياء ، العدد 4 ، الجزائر ، 2001 .

2- عكروت فريدة : مفهوم الفضاء و تمثلاته الاجتماعية ، مجلة الصورة و الاتصال ، عدد 22 ، مستغانم الجزائر ، فيفري 2018 .

3- نورية سوالمية : توظيف الفضاءات السكنية الجاهزة بين التصورات و الممارسات ، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ، عدد 9 ، الجزائر ، دبسمبر 2014 .

4- الطياش ، خالد : بعض الأحياء تفتقر للترابط الاجتماعي والبعض الآخر يزرع الألفة بين ساكنيه. جريدة الرياض . العدد / 14745 . 2008 .

5- الكناني، نجم : الحياة الاجتماعية في المدينة وجدوى المعالجات العمرانية. جريدة المدى . بغداد ، 2008 .

6- الحقيل ، عبد الحكيم : تجربة النمط العمراني المستحدث في البيئة العمرانية العربية الإسلامية ، دراسة اجتماعية عمرانية لواقع أحياء مدينة الرياض الجديدة ، السعودية ، 2009 .

7- ندى الحلاق : الكولونيالي في الشخصية المحلية في العمارة و العمران ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية ، عدد 1 ، 2012 .

8- حنان مالكي : الخصائص السوسيولوجية للأسرة الجزائرية – التقليدية و الحديثة - ، مجلة العلوم الانسانية جامعة محمد خيضر يسكرة ، عدد 22 ، جوان 2011 .

9- فاطمة طهراوي : التّحوّلات المرفلوجيّة والوظيفيّة للسّكن وأثارها على المحيط العمراني في الجزائر : حالة مدينة وهران ، انسانيات ، عدد 5 ، ماي أوت 1998 .

10- خلف الله بوجمعة : المدينة الجزائرية و البحث عن الهوية ، بريد المعرفة ، عدد 4 ، الجزائر ، جوان 2003 .

11- م. مكية : الحداثة و التراث - تأثير التنمية في العمارة و التخطيط العمراني ، ندوة دولية اليمن ، 30 ماي 1983

12- علي الشعيبي : تاثير التراث في مستقبل العمران ، مجلة المهندس ، مجلد 11 ، العدد 01 ، السعودية .

13- فاطمة طهراوي : التّحوّلات المرفلوجيّة والوظيفيّة للسّكن وأثارها على المحيط العمراني في الجزائر : حالة مدينة وهران ، إنسانيات ، عدد 5 ، ماي-أوت 1998

- المصادر :

1- ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، المجلد الثالث عشر ، د/ت ، ص 212 . أنظر: شيخ احمد رضا : معجم فن اللغة ، مجلد 2 ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1959 .

2- القرآن الكريم .

- المعاجم :

1- بونت بيار، إيزار ميشال : معجم الإثنولوجيا والأنتروبولوجيا ، ترجمة وإشراف عبد الصمد (مصباح) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد) ، بيروت ، ط1 ، 2006 .

- مواقع الإنترنيت :

1- معجم المعاني الجامع ، معنى كلمة الشقة ، https://www.almaany.com/ar/dict/arar/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%82%D8%A9

2- موقع الويكبيديا ، معنى كلمة الشقة ، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D9%82%D8%A9

3- التغير الاجتماعي . الأجيال والقيم في الجزائر www crask .dz .org/article-1026html

4- http://irbid.hooxs.com/t47829-topic عالم أريد

5- ftp/articles/2003/09/09- http://www.azzamzn.com/azzaman03/699.htm علي ثويني – مقالة عن الموقع

6- الموروث العمراني ما بين الأصالة ، القيم الانسانية والمعاصرة http://www.bu.edu.eg/portal/uploads/Engineering,%20Shoubra/Architectural%20Engineering/679/pubications/Mohamed%20Khairy%20Amin%20Hamed_PAPER_05.pdf

7- منتديات بوابة الونشريس ، بطاقة عن مدينة مستغانم ، https://www.ouarsenis.com/vb/showthread.php?t=27620

8- منتدى الموسوعة العربية https://WWW.arab-ency.com/-/details,artifacts,php?full=18nid=166063

9- مفهوم استخدام المباني الأثرية https://WWW.academia.edu/21706940/

10- عبد الحميد بوداود ، 2 مليون عمارة فرنسية تصنع الهوية العمرانية للجزائر https://www.vitaminedz.com

- المراجع باللغة الفرنسية :

1- Raymond Ledrut, Les images de la ville. Paris, Ed. Anthropos, 1973

2- Sapir, Edward,Anthropologie, Traduit par Chr. Baudelot et P. Clinquart, Paris, Editions de Minuit .

3- elbakri harmachi : Anthropos In Etat et Societe'an Maghreb,ed , Paris , 1975 .

4- Rapopot Aamos : pour une Anthropologie de la maison , Dunod , Paris . 1972 .

5- Fathi HASSAN : Construire avec le peuple histoire d'un village d'Egypte , Gourna »4e , sindbad , Paris , 1985.

6- J .J. DELUZ : L'urbanisme et l'architecture d'Alger, OPU, Alger , 1988 .